جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

–شعبة التاريخ–

التعليم في الدولة الرستمية و الدولة الحمادية

(دراسة مقارنة)

160–547هـ/776–1142م

مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ و حضارة المغرب الأوسط.

إعداد الطلبة:

- عبد الناصر الاخضري

تحت إشراف الاستاذ:

–أ/د ابراهيم بكير بحاز

لجنة المناقشة

–بن علي الطاهر	جامعة غارداية	رئيسا
–عبد الحميد الخالدي	جامعة غارداية	مناقشا
–ابراهيم بكير بحاز	جامعة غارداية	مشرفا مقررا

السنة الجامعية: 1435–1436 هـ/ 2014–2015 م.

بسم الله الرحمن الرحيم

اهداء

أمي اليك أهدى هذا العمل

المتواضع ثم أبي واخوتي جمعيا

دون نسيان أسرهم الصغيرة والى

جميع الاساتذة الكرام

الذين أسهموا في صنع أجيال

الغد و الى كل الاصدقاء

والزملاء دون استثناء.

قال تعالى :"لان شكرتم لأزيدنكم" و إذا قصرت يدي عن المكافأة فليطل لساني بالشكر لذا أتقدم بالشكر الخاص : إلى أستاذي و سيدي الدكتور طاهر بن علي الذي ارتقى بتواضعه فكان نعم الأستاذ و المعلم طوالة صحبته لنا .

والى أستاذي الدكتور إبراهيم بكير بحاز"،على تواضعه الذي زاده رفعة فوق علما فتمثلت فيه العديد من الصور الإنسانية

والى أستاذنا و شيخنا الفاضل كواتي مسعود ، وجميع الأساتذة الأفاضل

إلى من جمع بين القرابة و الصحبة فكان نعم الأخ إلى رمزي الأخضري

اهدي خالص شكري و إلى الزميلة التي لم تقصر يوما في مساعدتي شريفة لحباكي والى جميع من ساعدني من قريب و بعيد

المقـــــدمة

مقدمة:

لطالما اعتبرت الحياة التعليمية ونشاط العلماء وحضورهم صورة من صور الحضارة، وهذا ما تجسد في المغرب الإسلامي من خلال الدولة الرستمية والحمادية فقد عرف هؤلاء نُظُم، التعليم وطرق التدريس ونشاط العلماء خلال القرون الأولى. ولأن المغرب الأوسط قد جمعهما جغرافيا، ثم إن العامل الزمني جُد متقارب بينهما، فقد تجسدت لنا العديد من مشاهد الالتقاء والافتراق بين الدولتين في المجال التعليمي، فصحّت المقارنة بينهما حتى يتسنّى للقارئ معرفة مواطن الشبه والاختلاف بينهما.

قامت الدولة الرستمية ومن بعدها الحمادية فكان لهذا الإمتداد الحضاري في بلاد المغرب الإسلامي أثرٌ إيجابي في صنع الصورة العامة المختزلة في جغرافية المغرب الأوسط وزمن القرون الستة الأولى. ومن خلال ما سبق طُرحت الإشكالية العامة: ما هي أبرز نقاط التشابه والاختلاف في المجال التعليمي بين الدولتين الرستمية والحمادية؟ ثم كيف كانت نظم التدريس على عهد الدولتين؟ وكيف كانت العلاقة بين الإمامة والمملكة مع علمائهم وشيوخهم وأهل الفضل والعلم؟ ثم من هم أبرز علماء الفترة الرستمية والحمادية؟ وما هِي أَهَمْ العلوم العقليّة والنّقليّة أنذاك؟.

يعود سبب اختياري لموضوع التعليم في العهد الرستمي والحمادي دراسة مقارنة إلى أهمية هذا المجال ودوره في صناعة تاريخ المغرب الأوسط. يهدف الموضوع إلى تسليط الضوء على واقع حال التعليم في المغرب الأوسط من خلال الرستميين والحماديين وذكر أحوال التعليم والمتعلمين والمشائخ والعلماء وأبرز ما تداوله هؤلاء.

ومن أجل ذلك وضعت خطة المذكرة فيما يلي:

مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، تطرقت في الفصل الأول إلى التعليم في العهد الرستمي بما أنهم أسبق زمنيا من الحماديين. وذكرت في المبحث الأول نُظُم التدريس ومؤسساته من خلال ثلاثة

مطالب، الأول جعلته خاصاً بالحلقات التعليمية في المساجد و الثاني بالكتاتيب والثالث خاص بالمكتبات وقد قدمت حلقات العلم على الكتاتيب لتقدمها الزمني وليس ترتيباً بيداغوجياً في حين شمل المبحث الثاني مساهمة السلطة في التعليم وعلاقتها بالعلماء والمشايخ و أبرز علماء الدولة الرستمية. كل ذلك من خلال ثلاثة مطالب مرتبة حسب ما سبق. أما المبحث الثالث فتتبعت فيه أهم العلوم المتداولة في العهد الرستمي، وقد قسمتها إلى مطلبين، والمطلبان إلى عناصر. فتناولت في المطلب الأول العلوم النقلية بما فيها الفقهُ، التفسيرُ والحديث؛ ثم في العلوم العقلية ذكرت أهم العلوم الدنيوية آنذاك وهي الفلسفة، علم الكلام، الحساب وعلم الفلك. بالإضافة إلى الطب ونفس الصورة تقريبا عن الدولة الحمادية من خلال الفصل الثاني مع بعض الاختلاف في أهم العلوم المتداولة وذلك لطبيعة الدولة واختلافها زمنيا مع الرستميين. فكان العمران والهندسة سمة الدولة الحمادية كما كانت المناظرات وعلم الكلام بالنّسبة الدولة الرستمية.

أما بخصوص الفصل الثالث فقد قسمته إلى مبحثين وكل مبحث يحمل مطلبين؛ ففي المبحث الأول ذكرت أوجه التشابه بين الدولتين، وذلك في المؤسسات التعليمية وعلاقة السلطة الحاكمة بالعلماء والمدرسين، ثم في المبحث الثاني ذكرت أوجه الاختلاف بينهما وجعلت ذلك في مبحثين، الأول واقع الحال و التوجُّه السياسي وأثره في التعليم. والمبحث الثاني أثر المذهبية في نظام التعليم كذلك. ثم جعلت لكل فصلٍ ملخصاً يعالج ما ذكرته. وخلصت في الخاتمةإلى نتائج توصلت إليها من خلال دراستي لهذا الموضوع.

اتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي والتحليلي والمقارن خاصة في الفصل الثالث. أما فيما يخص الصعوبات التي واجهتها فقد كان الزمن أصعب عائق لا غير. فقد نجم عنه قلة الإطلاع والملاحظة و التأني في إنجاز البحث.

دراسة بعض المصادر والمراجع المتناولة:

المصادر:

أخبار الأئمة الرستميين لابن الصغير: الذي عاصر الإمامة الرستمية خلال فترة أبي اليقظان فكان المصدر الأساسي الوحيد للرستميين فذكر أخبارهم وتأنى الحذر في ذلك من خلال وصفه للمُؤَرّخ المَوْضُوعِي حيث عرّجَ على أهم أحداث الدولة الرستمية في المجال السياسي مع بعض الإشارات إلى المظاهر الأخرى سواء الاجتماعية والاقتصادية و الثقافية التعليمية. واستفدت منه في تدوين وقائع سياسية و ثقافية.

الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين و المتعلمين لأب الحسن على القابسي: هذا المصدر الذي يصور لنا بدقة الحياة التعليمية ونظم التدريس خلال القرون الأولى للإسلام خاصة ببلاد المغرب الإسلامي وقد استَعمَلْتُه في التمهيد والفصل الأول.

أبو زكرياء سِيَرْ الأئمة وأخبارهم: هو صورة أخرى لكن غير مطابقة لكتاب ابن الصغير ويعتبر من أقدم المصادر الاباضية فقد أخذ منه كل من الشماخي والدرجيني وقد اعتمدت عليه في الفصل الأول والثالث من أجل تدوين عدة وقائع كان لها اثر على الحياة التعليمية في تيهرت وقد عرج هذا المصدر على مجمل الأحداث السياسية للرستميين بطابع إباضي بما أنه المصدر الإباضي الأول باعتبار ابن الصغير مالكي.

الكامل في التاريخ لابن الأثير: المتوفي 630هـ وقد اعتمدته في الفصل الثالث في ذكر أخبار العرب وصنهاجة والحماديين وأخبارهم واستسقيت هذه المعلومات من المجلد الثامن ويعتبر ابن الأثير عمدة التاريخ الإسلامي.

طبقات المشايخ للدرجيني: الجزء الأول والثاني وهو من علماء القرن السابع للهجرة من مواليد نفطة من بلاد الجريد كان له الفضل في تصنيف جُل العلماء والمشائخ الإباضية وقد استفدت منه في تراجم الأعلام الاباضية ولهذا المصدر أهمية بالغة في تدوين التاريخ الاباضي.

مقدمة ابن خلدون: وقد استَعملتُها من أجل التعرف ببعض العلوم والمصطلحات على غرار التّعليم والتفسير والفقه وغيرها وهذا الكتاب غني عن التعريف.

تاريخ ابن خلدون العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب و العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لابن خلدون أبوزيد عبد الرحمان بن محمد الحضرمي الإشبيلي توفي 808هـ-1406م وقد استَعملتَهُ في الفصل الثالث كثيراً. وقد تناول هذا المصدر المتأخر أحداث هامة من تاريخ المغرب الإسلامي وقد فصل فيها جيدا مما سمح لي للإطلاع على أحوال المغرب آنذاك.

المراجع:

الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية للباروني: المتوفى 1940م ويعد الكتاب من أهم المراجع الخاصة بالاباضية فقد تناول تاريخ الرّستميين دون مبالغة أو إطناب رغم أنه من المراجع القديمة المعروفة بالإطناب و التكرار وقد استَفدتُ منهُ في الفصل الأول في تدوين بعض مظاهر التعليم واهتمام السلطة بالعلماء وغير ذلك.

تاريخ الجزائر العام لعبد الرحمان الجيلالي: والذي يعتبر من أقدم المراجع التاريخية فهو يعتبر من المدرسة الأولى الكلاسيكية وقد تنوعت المعلومات التي أخَذتُها عنهُ مابين الفصل الأول والثاني إذ شملهم جميعاً.

تاريخ المغرب الكبير للشيخ محمد علي دبوز: أحد مراجع الدولة الرستمية ورغم أنه مليء ببعض الإطناب إلا أنه أعطى لنا صورة واضحة عن دولة بني رستم.

الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها لرشيد بورويبة: ويعد من أهم المراجع في تاريخ الحماديين خاصة في الجانب العمراني ومع ذلك اعْتَمدتُ عليه في الفصل الثاني كذلك.

دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري للدكتور عبد الحليم عويس: هذا المرجع الذي يعد أهم من عالج الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية لبني حماد وقد تطرق إلى تاريخ الحماديين بلغة التحليل والاستنتاج وقد اعْتَمدتُ عليه في الفصل الثاني.

الدولة الرستمية (160–296هـ) (777–909م): دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية للأستاذ الدكتور إبراهيم بكير بحاز ويعتبر هذا الكتاب من أثمن المراجع التي تناولت الحياة الاقتصادية والفكرية وقد استَفدتُ منهُ خلال الفصل الأول؛ وقد اتسم الكتاب بالتحليل والدقة والمسح فلم يترك لنا الكثير من التساؤلات والانشغالات.

أما المقالات والدوريات فهي متنوعة على غرار الأصالة، مجلة كان التاريخية ومجلة العصور الجديدة.

تمهيد عرفت

القرون الخمسة الأولى للإسلام نشاطا ثقافيا، شمل جلّ الأقطار الإسلامية فكان العوام من المسلمين على قدر من الثقافة والعلوم وكان ذلك نتيجة لما حمله التشريع الجديد من مفاهيم شاملة متجددة، حيث جعلت كلاً من العرب والعجم يعملون الفكر فيها فمست مناهج الحياة إضافة إلى الدين و الأدب والفلسفة والعلوم والآداب الأخرى.

يظهر جليا من خلال قوله تعإلى: "اقرأ باسم ربك الذي خلق...[1]"مدى أهمية العلم والتعليم في الإسلام فالملاحظ والمدقق للإطار الزماني والمكاني للآية يدرك بوضوح أولوية وأهميته العلم في الرسالة الخاتمة.

والمغرب الإسلامي كغيره من الأقطار الإسلامية اهتم بالتعليم وقد ذكر ابن خلدون ذلك فقال: "فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم، لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر و من كلام العرب إلى أن يحذق فيه أو ينقطع دونه فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعا عن العلم بالجملة"[2]

يوضح ابن خلدون هنا طريقة التعليم بالمغرب، فهم يبنون علومهم جميعا على القرآن، إضافة إلى ذلك هم لا يضيفون إلى تعليم القرآن شيئاً حتى يخلو العقل لحفظه فقط وسبب ذلك أن تعليم الصغر أشد رسوخا وهو أصل لما بعده. وقد رفض القابسي في رسالته المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين

[1] الآية الأولى من سورة العلق.

[2] عبد الرحمان بن خلدون: مقدمة، تح درويش جويدي، المكتبة العصرية، بيروت، ط جديدة، 2002، ص536.

والمتعلمين العقاب الانتقامي فقال: "العذل والتقرير بالكلام الذي فيه التواعد من غير شتم ولا سب فلا يفعل هذا ولا ما كان مثله !العرض كقول من لا يعرف لأطفال المؤمنين حقا فيقول: يا مسخ يا قرد في القبح فإن قلت له واحدة فلتستغفر الله ولتنته عن معاودتها"[1].

قال ابن خلدون:" وذلك أنّ إرهاف الحد في التعليم مضر بالمتعلم، سيما في أصاغر الولد، لأنه من صور الملكة ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم، سطا به القهر وضيق على النفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل وحمل على الكذب والخبث[2]".

فابن خلدون، فيما سبق، يبين أن الشدة على المتعلمين مضرة بهم، فهي تنعكس على طباعهم فَتُحدِثُ فيها أثرا بالسلب نتيجة للتعنيف.

بما أن التعليم صورة من صور الحضارة فقد اهتمت إمارات المغرب الإسلامي بعامة والأوسط منه خاصة بالعلم والتعليم ففي صورة الدولة الرستمية(160-296هـ/777-909م)[3] والحمادية[4](405-547هـ/1014-1153م) حملت جل المصادر التي عنت بتاريخ الرستميين والحماديين إشارات واضحة لاهتمام هؤلاء وأولئك بالعلم والتعليم، فقد كان أول ما شيده

---

[1] أبو الحسن علي القابسي: الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، تح أحمد خالد، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط1، 1986، ص 129.

[2] ابن خلدون: المصدر السابق، ص538.

[3] عن الدولة الرستمية: راجع ابن الصغير أخبار الأئمة الرستميين، تح الدكتور محمد ناصر والأستاذ إبراهيم بحاز، الجزائر، 1985. أبو زكرياء: سير الأئمة وأخبارهم، تح اسماعيل العربي، دار الغرب الاسلامي، بيروت لبنان، ط2، ص82. إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية(160-296هـ/777-909م)، دار النشر ألفا، الجزائر، ط3، 2010.

[4] ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح كولان وبروفنسال، دار الثقافة، بيروت لبنان، ط3، 1983. رشيد بورويبة: الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1977. عبد الحليم عويس: دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2003، ط2، 1411هـ/1991م.

الرستميون بعد أن استتب لهم الأمر بتيهرت[1] المسجد الجامع[2]، وقد كان هؤلاء يولون اهتماما بالغا بالتعليم والعلماء ودليل ذلك يظهر جليا في مطلع لقصيدة جاء بها ثالث الأئمة الرستميين أفلح بن عبد الوهاب[3]:

العلم أبقى لأهل العلم آثاراً يريك أشخاصهم روْحا وإبكار

حي وإن مات ذو علم وذو ورع ما مات عبد قضى من ذاك أوطارا

وذو حياة على جهل ومنقصة كميت قد ثوى في الرمس أعصار

وعلى غرار الرستميين فقد أنارت الدولة الحمادية بعضاً من أوربا بعلمها الساطع الانتشار، فكانت منارة علم، وقبلة لطلاب العلم ولجها العديد من الأجناس قاصدة الاستزادة من عاصمة الحماديين، وفي هذا يقول أبو حسن علي بن فكون القسنطيني:

عدى العراق وبغداد وشامهما فالناصرية ما ان مثلها بلد

بر وبحر وموج للعيون به مسارح بان عنها الهم والنكد

إن تنظر البر فالأزهار يانعة أو تنظر البحر فالأمواج تطرد[4].

فالمغرب الأوسط عرف التعليم منذ القرن 02هـ /08م على يد الرستميين، واستَمَرَّ على ذلك في عهد الحماديين في القرنين 5-6هـ/11-12م، وهذا ما سأفصل فيه الحديث

من خلال الفصول والمباحث التالية:

---

[1] راجع عن بناء مدينة تيهرت: أبو زكرياء: سير، ص81. وإني سأستعمل لفظة تيهرت في كامل المذكّرة إلا إذا وردت في نص مقتبس حرفياً "تاهرت" فسأتركها كما جاءت بطبيعة الحال.

[2] أبو زكرياء يحي نفسه، ص82.

[3] أبو زكرياء: نفسه، ص128.

[4] رشيد بورويبة، ص314.

الفصل الأول

التعليم في العهد الرستمي

المبحث الأول: المؤسسات التعليمية عند الرستميين

المطلب الأول:الحلقات العلمية في المساجد

المطلب الثاني: الكتاتيب

المطلب الثالث:المكتبات

المبحث الثاني:اهتمام السلطة بالتعليم والعلماء

المطلب الأول: مساهمة السلطة في التعليم

المطلب الثاني:علاقة العلماء بالسلطة الحاكمة

المطلب الثالث:أشهر علماء العهد الرستمي

المبحث الثالث: أهم العلوم المتداولة في العهد الرستمي

المطلب الأول:العلوم النقلية

أ – الفقه

ب –التفسير

ج – الحديث

المطلب الثاني: العلوم العقلية

أ – علم الكلام

ب – اللغة العربة وآدابها

ج – الحساب وعلم الفلك

د – الطب

المبحث الأول: المؤسسات التعليمية عند الرستميين

المطلب الأول: الحلقات العلمية في المساجد

للمسجد أهمية بالغة، بما أنّه القاعدة التعليمية الأولى، فإن جل العلوم الدينية كانت تعقد فيه للعام والخاص[1]، وقد عرف الرستميون نظام الحلقة خلال نشأتهم الأولى بالمشرق وذلك بالبصرة، حيث كانت على نوعين: الأولى سرّية خاصة، والثانية علنية عامّة، وكانت الأولى تحمل في طياتها مواضيع سياسية، في حين كانت الثانية تعنى بالمواضيع الدينية والدنيوية[2]، ويعود الفضل في نقل طريقة الحلقات العلمية إلى بلاد المغرب إلى حملة العلم[3] الذين استنبطوه من مدينة البصرة خلال رحلتهم العلمية، وتعتبر هذه الحلقات المنعقدة في المساجد بمثابة المرحلة الثانوية[4] فتزيد من تحصيلهم العلمي نتيجة اتصالهم بشيوخ لهم من العلم الحظ الوافر، فهم ملمون بكل ما له علاقة بالعلم في هذه الحلقات التي كانت فيما مضى تعقد في مرحلة السر، حتى استتب الأمر للإباضية[5]، إلى أن أسسوا إمامة بالمغرب فأصبحت بذلك حلقاتهم العلمية مفتوحة وعلنية.

---

[1] إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص337.

[2] عمر خليفة النامي: دراسات عن الإباضية، تر ميخائيل خوري، مر ماهر جرار، تح محمد صالح ناصر ومصطفى صالح باجو، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2001، ص101.

[3] عن حملة العلم راجع: أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني طبقات المشاييخ بالمغرب، تح إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، ج1، ص19. مجموعة من المؤلفين: معجم المصطلحات الإباضية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، عمان، ط1، 1429هـ/2008م، ص249.

[4] إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص338.

[5] عن الإباضية: علي يحيى معمر: الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتّاب المقالات في القديم والحديث، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر.

نظرا لما يمثله المسجد في حياة الأمة الإسلامية، كان لازما على الدولة الرستمية الشروع في إنشاء هذا المركب المؤسساتي[1]، والذي يعتبر بمثابة المرجعية الأولى للمسلمين في عهدهم الأول، لذلك وجدنا الرستميين يقيمون قواعده مباشرة عند الشروع في بناء مدينة تأويهم كثاني اهتمام لهم بعد تعيين الإمام[2]، وقد ذكر ابن الصغير[3] مؤرخ الدولة الرستمية مدى اهتمام الإباضية بالمساجد وإقامتهم فيها، فقال " وكانت مساجدهم عامرة وجامعهم يجتمعون فيه"[4] .

كانت الحلقات العلمية تعقد في المساجد باستمرار فقد أراد الرستميون نشر مبادئ المذهب بين أوساط البربر بسرعة، وذلك حتى يكون اطلاعهم أوسع على المذهب وتعاليمه، إضافة إلى ذلك كان أغلب مريدي الحلقات العملية حضورا من طلاّب العلم اللذين يلِجونها قصد التعلم[5]، ويقال إن أبا الخليل اليدركلي[6] كان معاتبا تلاميذه مرة وصفهم بالكسالى خلال إحدى الحلقات العلمية بالمسجد وقد بين لهم أهمية العلم والتعليم عندما أخبرهم عن رجل ارتحل من بلد لآخر قاصداً العلم .

[1] تم نحت هذا المصطلح من خلال محاضرات الدكتور الطاهر بن علي، شعبة التاريخ، جامعة غرداية، الجزائر.

[2] أبو زكرياء: سير، ص82. محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تاولت الثقافية، الجزائر، ج3، 2010، ص254.

[3] عن ابن الصغير: راجع ترجمة ابن الصغير، اخبار الائمة الرستميين، تح الدكتور محمد ناصر، الاستاذ إبراهيم بحاز، الجزائر، 1985، ص11.

[4] نفسه، ص102.

[5] إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص337.

[6] أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني: طبقات المشايخ بالمغرب، تح ابراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، ج2، ص301.

إضافة إلى ذلك كان العالم ابن ميمون[1] أحد المشايخ يعقد حلقات علمية بالمساجد وكان الحضور كثيرا رغم تنقله المستمر.

وقد كان التلميذ إذا ما استوفى المرحلة الأولى من التعليم يتم انتقاله إلى الحلقة العلمية وكان ذلك بمثابة التعليم العالي[2].

تظهر روح التسامح عند الرستميين في التعليم بالمساجد من خلال قبولهم للمذاهب والفرق الأخرى رغم اختلافهم في العديد من المسائل الفقهية، وقد أشار إلى ذلك المؤرخ ابن الصغير حيث قال: "ومن أتى إلى حِلق الإباضية مِن غيرهم قرَّبوه وناظروه ألطف مناظرة وكذلك من أتى من الإباضية إلى حِلق غيرهم كان سبيله كذلك"[3].

وتذكر كتب الطبقات أن حلقات الصفرية والإباضية كانت تعقد في مساجد افريقية بل في جامع القيروان[4] نفسه، حيث أَلِف الفقهاء الإباضية والصفرية على تدريس تعاليم مذهبيهما[5].

ورغم أن إقبال الرستميين على نظام الحلقات السري أو العلني كان في البصرة خاصة حلقات العالم أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة[6]، إلا أننا نراهم لا يبدون حرجا ولا تمييزا من الفرق الأخرى في تيهرت خلال حضورهم معاً، وهذا ما يعطينا صورة حسنة عن تعامل الرستميين مع باقي الفرق. ودعما لما

---

[1] الدرجيني: طبقات، ج2، ص301 .

[2] محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج3، ص332.

[3] ابن الصغير: المصدر السابق، ص102.

[4] القيروان: راجع تأسيس القيروان، الحموي: معجم البلدان، المجلد الرابع، ص420.

[4] محمود اسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب الإسلامي حتى منتصف القرن الرابع هجري، دار الثقافة، بيروت، ط2، 1406هـ، ص94.

[6] أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة: راجع الدرجيني: الطبقات، ص238.

سبق كان الأثر الايجابي لنظام الحلقات واضحا عند الرستميين، فبالإضافة إلى الطلاب استفاد العوام كذلك، فقد كانوا يأخذون حظهم من التعليم خلال العهد الرستمي، ويظهر جليا من خلال ذلك سياسة الرستميين المرِنة في التعليم[1] .

وتجدر الإشارة إلى أن العامة في المغرب الإسلامي خلال القرون الوسطى، كانت تهتم بتعليم الصبيان في بعض الأحيان من أموالها الخاصة، فلا تنتظر السلطة إذا ما تأخرت في ذلك، فقد استخدمت العامة حسب الدكتور حسين مؤنس مساجدها معاهداً للتعليم، لأن التعليم دائما ما يكون من اهتمام الجماعة والأفراد[2]، إلا أن الرستميين أبانوا عكس ذلك في معظم مسار الدولة الرستمية، فترى سواءاً الأئمة أو العامة كليهما ملمّاً بالعلم والتعليم، ومثال ذلك الإمام أفلح والإمام أبو اليقظان فقد جمع مابين العلم والعمل، فكانت لهما حلقات علم متعددة، فطائفة يصلون وطائفة أخرى يقرؤون القرآن في حين أخرى يتذاكرون بعضاً من فنون العلم[3].

عموما كانت الحلقات العلمية بالمساجد إبان العهد الرستمي على قدر وافر من النشاط والحضور الذهني والفكري.

[1] ابن الذيب عيسى وآخرون: الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، ص 36.

[2] الدكتور حسين مؤنس: المساجد، عالم المعرفة، العدد 37، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 1981، ص31.

[3] أبو زكرياء، سير، ص136.إبراهيم بحاز: امرجع السابق. تالية سعدو: الحركة الفكرية بالدولة الرستمية وإسهام المرأة الإباضية فيها، مجلة العصور الجديدة، العدد1، مختبر البحث التاريخي، وهران، 2011، ص42.

المطلب الثاني: الكتاتيب

جاء في الرسالة المفصلة ما يلي:"وأما الإمام سحنون فقال سئِل مالك عن تعليم الصبيان في السجد فقال: لا أرى ذلك يجوز لأنهم لا يتحفظون عن النجاسة ولم ينصب المسجد للتعليم"[1].

ومن هنا أرى أن سبب ظهور الكتَّاب راجع في أصله إلى طبيعة الأطفال، فقد رفض الإمام مالك جلب الصبيان إلى المساجد بما أنهم لا يتحفظون من النجاسة، ومنه كان لازما إنشاء مكان لتعليم الصبيان وهذا ما يسمى بالكتَّاب الذي يعتبر أول مؤسسة تعليمية خاصة بتعليم الصبيان عند المسلمين .

فالرستميين كغيرهم، اهتموا بالتعليم باستمرار، ويظهر ذلك من تعدد مساجدهم، فمن الطبيعي أن يصحب كل مسجد كتَّاب حيث يتعلم الصبيان القرآن[2] .

بما أن مفهوم الكتَّاب كان حاضرا في المغرب الإسلامي آنذاك[3]، فقد كان لعمر بن يمكتن الذي ذكره أبو زكرياء في الطبقة الثانية السبق في تأسيس مدرسة أساسها تعليم الصبيان[4] وذلك بقرية إيفاطمان بجبل نفوسة فقد أدرك هذا الرجل مدى أهمية التعليم[5]. تعد الكتّاب أقدم مؤسسة تعليمية في صدر الإسلام[6]، ويعود سبب انفصال الكتاب عن المسجد وقيامه إلى جنبه في نفس الوقت

[1] ابو الحسن القابسي: المصدر السابق، ص145

[2] إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص334.

[3] ابو حسن القابسي: المصدر السابق، ص139-148.

[4] موسى لقبال: المغرب الإسلامي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981، ص166.

[5] عن نفوسة: راجع، ياقوت الحموي: معجم البلدان، المجلد الخامس، ص296.

[6] ابن الذيب عيسى وآخرون: المرجع السابق، ص43.

لسببين: لطالما اقترن المسجد بالطهارة، والصبيان بالنجاسة وهاتان الحالتان لا يلتقيان، وأما السبب الثاني فإن الكتاب يستسقي جميع علومه من المسجد فهي دينية بحتة ومرتبطة ارتباطا وثيقا باللغة العربية، وهي الأداة الأساسية لتحفيظ القرآن[1]

وقد كانت طريقة التعليم تتم في ألواح من خشب، حيث تتم الكتابة عليها ويرجع سبب ذلك ربما إلى ندرة الورق، حيث يتعلم الصبيان أول أمرهم في الكتاب إلى أن يبلغوا سن الرشد والحُلم فيتنقلون إلى حلقات العلم بالمساجد[2].

ومن أهم العلوم المتداولة في الكتاب خلال العهد الرستمي حفظ القرآن والأحاديث وتعليم اللغة، ويتم ذلك كله عن طريق التكرار بعد الشيخ مرة وأخرى وباستمرار وهو مربي الأولاد ومعلمهم[3].

المطلب الثالث: المكتبات

استطاع الرستميون الوصول إلى بيئة علمية وثقافية راقية، ومن أهم صور العلم والمعرفة وجود المكتبات، هذه الأخيرة التي تمثل إحدى صور الحراك الثقافي والفكري عند الأمم المتعلمة.

بما أن الإمام عبد الوهاب بن عبد الرّحمان[4] قد أرسل بألف دينار إلى إخوانه بالمشرق من أجل أن يشتروا بها كتبا[5]، ورغم أن الإمامة الرستمية كانت على عهدها الأول بحيث كان له الاهتمام بالجانب

[1] إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص332.

[2] نفسه، ص334

[3] نفسه، ص333

[4] الإمام عبد الوهاب بن عبد الرّحمان: ثان الأئمة الرستميين، راجع ابو زكرياء: سير، ص86.

[5] أبو زكرياء: سير، ص99-100.

السياسي قبل الثقافي، إلا أننا نراه محبا للعلم وقد كانت هاته الكتب النواة الأولى لمكتبة المعصومة التي تعتبر أكبر مكتبة في دار الإمامة آنذاك، وقد كانت تشتمل على ثلاثمائة ألف مجلد في شتى العلوم والفنون حسب ما ذكره الشيخ محمد علي دبوز إلا أنه لم يعطنا مصدره عن هذه المعلومة[1].

ومن مظاهر اهتمام الرستميين بالكتاب ما قام به القاضي عمروس بن فتح[2]، هذا الرجل الذي أدرك قيمة الكتب حيث استوقف العلامة المشرقي أبا غانم بشر بن غانم، واستنسخ منه بمعية أخته مدونته المعروفة والمتكونة من إثني عشر جزءاً[3] حملت في طياتها علوماً كثيرة أفادت سكان جبل نفوسة.

إضافة إلى مكتبة المعصومة بتيهرت، كانت نفوسة الجبل على قدر كبير من النشاط العلمي والثقافي، فقد كانت تولي اهتماما بالغا بالعلوم، منافسة في ذلك القيروان عاصمة المغرب الأدنى، وأول مدن المسلمين بالمغرب.

وقد اشتملت مدن وقرى نفوسة على عشرات الخزائن المملوءة بالكتب النفيسة، فقد أحرق معظمها في الفتن المتصلة التي أصابت الجبل خلال القرن العاشر هجري[4]، وقد أبانت نفوسة الرستمية عن مستوى راقٍ من الفنون العلمية .

---

[1] علي دبوز: المغرب الكبير، ج3، ص345.

[2] عمروس بن فتح: راجع الدرجيني: الطبقات، ج2، ص325.

[3] إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص345. هذه المدونة قام بتحقيقها الأستاذ الدكتور مصطفى باجو ونشرتها وزارة الأوقاف والشؤون الدينية عام 2008.

[4] علي دبوز: المرجع السابق،ج3، ص345. مثل ملاحظاتي السابقة العدد الضخم الذي ذكره الشيخ دبوز ألاحظ كذلك أن الشيخ ذكر المئات والأصح حسب تقديري العشرات وهذا معقول جدا في ذلك الوقت.

بعد طلبه من إخوانه المشارقة التزود بالكتب، لحِق الإمام عبد الوهاب بن عبد الرّحمان حمولة أربعين جملا من الكتب[1]، مثلت كما ذكرنا آنفا البذرة الأولى لمكتبة المعصومة التي طرحت العديد من المسائل والتساؤلات الشائكة حول اختفائها وكتبها معا بما أنها تحمل عددا هائلا من الكتب والتي لم تظهر، وقد ذكرت العديد من المصادر الإباضية وجود المكتبة[2]، وتذكر كذلك أنه أحرقها أبو عبد الله الشيعي[3] الداعية الفاطمي الذي أرسله الإمام الإسماعيلي لإظهار دعوتهم في بلاد المغرب، حيث قام بحرقها بعد أن دخل تيهرت سنة 296هـ/909م، وقد اقتنى منها جميع ما يلزمه من كتب خاصة بالعلوم الدنيوية من حساب وفلك وطب وفلسفة وغيرها من، ثم أحرق كل ما له صلة بالإباضية[4].

إلاّ أنّ الدكتور موسى لقبال[5] يذكر مسألة حرق المعصومة، فيرميها ببعض الشكوك وحجته في ذلك أن الداعية أبا عبد الله الشيعي رجل علم ومعرفة وهذا ليس من شيم أهل العلم.

وقد رد عليه الدكتور إبراهيم بحاز[6] فيما يخص حرق المعصومة مستشهدا في ذلك بما قام به بنو عباد، حيث أحرقوا كتب ابن حزم الظاهري، كذلك فعل أبو يوسف المنصور الموحدي حيث أحرق

---

[1] أبو زكرياء: سير، ص99. سليمان بن عبد الله الباروني باشا: الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، تح أحمد كروم وعمر بازين ومصطفى بن ادريسو، تقديم إبراهيم بحاز والشيخ أحمد بن سعود السيابي، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط3، 1423هـ/2002م، ج2، ص213.

[2] الباروني: المصدر السابق، ص338. دبوز: المغرب الكبير، ج3، ص345.

[3] عن أبا عبد الله الشيعي: راجع ابن خليكان أبو العباس أحمد: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح إحسان عباس وآخرون، دار صار، بيروت لبنان، ج، ص موسى لقبال: ملحمة أبي عبد الله الاكجاني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990.

[4] الميلي: المرجع السابق، ص77

[5] موسى لقبال: من قضايا التاريخ الرستمين، مكتبة المعصومة بتيهرت، هل أحرقت ؟ أو نقلت عيونها إلى سدراته في جوا ر بني ورجلان، مجلة الأصالة، العدد41، مطبعة البعث، قسنطينة، 1977، ص51-59.

[6] إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص348.

كتب أتباع الإمام مالك كما سار مع الدكتور لقبال موسى في أن الإباضية لما هربوا ربما حملوا معهم تلك الكتب فتخلوا عنها فجاء على حرقها أبو عبد الله الشيعي، وأتباعه الذين كانوا يلاحقون الإباضية عند هروبهم بالقتل والفتك .

يبدو أن هذا الإسقاط التاريخي المراد به أن رجل العلم قد يتجرد من علمه، وثقافته في سبيل تحقيق أغراض سياسية ومذهبية.

المبحث الثاني: اهتمام السلطة بالتعليم والعلماء

المطلب الأول: مساهمة السلطة في التعليم.

هناك العديد من الصور والمشاهد التي تُظهر مدى اهتمام الرستميين بالعلم والتعليم، فقد كان معظمهم رجال أدب وعلم وأصحاب توجهات مذهبية[1]، زيادة على ذلك فقد كانوا يعقدون المجالس والحلقات، القصد منها التعليم، يملون فيها دروسا على العوام تمس شيئا من الفقه والحديث والآداب وعلم الكلام[2]. وقد أُطلق على تيهرت عراق المغرب[3]، لما تحوزه من مكانة علمية راقية، وقد كان الإمام أبو اليقظان محمد بن أفلح أحد أئمة الرستميين يباشر تلقين العلوم والمعارف للعامة بنفسه[4]. إضافة إلى ذلك كانت مراعاة الأئمة الرستميين بسكان الجبال والمناطق النائية حاضرة من الناحية العلمية، فقد كانوا يلزمونهم التعليم ولو بالبربرية، فقد لقي هؤلاء الترحيب من قبل السلطة الحاكمة رغم أنهم خارج تيهرت العاصمة[5].

وبما أنهم أدركوا أن كسب الشعوب يتم عن طريق المكايسة، ابتعد الرستميون عن التعنيف وناشدوا السلم حتى في أوج المعضلات[6]، فكان ذلك نتيجة حتمية لتطور البيئة الثقافية للرستميين، وقد كان الإمام عبد الرّحمان من أكثر الأئمة اهتماما بالعلم و المعرفة[7]، بالإضافة إلى الإمام أبي اليقظان[8] وكذلك الإمام أفلح الذي كان ذا اطلاع حتى أنه قرأ لأبي سفيان محبوب بن الرحيل أحدُ رجالات الإباضية وعلمائها بالمشرق ورغم المحنة التي مر بها يعقوب بن أفلح إلا أنه كان رجل علمٍ

---

1 محمد الطمار: الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة اوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص94

2 نفسه، ص94.

3 ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2، ص8.

4 الجيلالي عبد الرّحمان: المرجع السابق، ص236.

5 أبو زكرياء: سير، ص170. الميلي: المرجع السابق، ص73.

6 ابن الذيب عيسى وآخرون: المرجع السابق، ص33

7 نفسه، ص33

8 إبراهيم بحاز: المرجع السابق ص 328.

ومعرفةٍ، حتى أنه سُئل يوماً هل "يحفظ القرآن فقال : معاذ الله أن ينزل على موسى وعيسى ما لا أحفظه وأعرف معناه فكيف بكتاب أنزله الله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم"[1]. ويُذكر أن الإمام أفلح بن عبد الوهاب قد قرض شعرا يحث فيه العوام على طلب العلم والاهتمام به. إضافة إلى ذلك كان الإمام عبد الوهاب يعلّم أهالي الجبل بنفوسة لمدة سبع سنوات وذلك بمسجد ميرى[2] وكان له كتاباً في ذلك عُرف فيما بعد بمسائل نفوسة.

يمكن استيعاب مدى اهتمام الإباضية بالعلم من خلال وضعهم لشرط العلم خلال كل تنصيب لإمام جديد وهذا ما تمثل في الإمام عبد الرّحمان بن رستم وابنه عبد الوهاب، هذا الرجل الذي فقه جُلّ كتب المشرق[3] إلاّ مسألة أو مسألتين لو اجتهد فيهما لوافق الصواب، كما قال هو عن نفسه[4]، وإضافة إلى ما سبق فقد عرف عن الإمام عبد الوهاب الحكمة والشجاعة والفروسية[5]، وللإمام عبد الرّحمان بن رستم تأليف في التفسير وديوان الخطب ورسائل إخوانية[6].

على العموم ارتبطت الحياة الفكرية في عصر بني رستم بالمذهب الاباضي، لذلك سارع حملة العلم بما فيهم الإمام عبد الرّحمان إلى نشر تعاليم المذهب الإباضي فقد كان همهم أن يستوعب البربر

---

[1] أبو زكرياء: سير ص190.

[2] إبراهيم بحاز المرجع السابق، ص337.

[3] علي دبوز المرجع السابق، ص 332.

[4] أبو زكرياء: سير، ص99.

[6] عبد العزيز نقبيل: شعراء المغرب الأوسط النازحون إلى القيروان قبل خرابها، مذكرة ماجيستر في الأدب ، إشراف الأستاذ عيسى مدور، جامعة الحاج لخضر باتنة ، 2009/2008 ، ص20.

[6] الجيلالي عبد الرّحمان: المرجع السابق، ص227-228 .

الإسلام وأن يتمكنوا من عقيدة وفقه الإباضية في أسرع وقت حتى يتم لهم بسط نفوذهم في المغرب الأوسط[1].

المطلب الثاني: علاقة العلماء بالسلطة الحاكمة

رد الإمام أفلح بن عبد الوهاب وقد سئِل مرة عن أبي المؤرج و ابن عبد العزيز الذينِ خلفا الربيع بن حبيب "فقال: وقعت منهم مسائل معروفة فلم يؤخذ بقولهم في تلك المسائل و أما غيرها مما فيه اختلاف من رأي أصحاب النبي عليه السلام و اختلاف فقهائنا فلا يدفع إسنادهم وهم بمنزلة من سواهم من المسلمين"[2]. هكذا أجاب الإمام عن بعض الاختلاف الذي وقع بين علماء الإباضية في المشرق وكان الربيع بن حبيب طرفا فيه، ورغم أنه يحظى بمنزلة عالية عند الإباضية إلا أن الإمام لم يعترض على من خالفه من العلماء و ذكرهم بخير.

كان رد أهالي الجبل بنفوسة سريعا عندما طلب منهم الإمام عبد الوهاب المساعدة وإرسال علمائهم وذلك من أجل مناظرة الواصلية حيث أرسلوا له وحيد زمانه المهدي النفوسي، و فارس الجبل أيوب بن العباس والمفسر المجالد لنفسه محمد بن يانس وأبو محمد فارس[3].

ويظهر جليّاً من خلال هذه الحادثة مدى التواصل الجيد بين أهالي نفوسة والإمام عبد الوهاب. كانت الفرق والمذاهب المنتشرة في تيهرت على غرار الواصلية و المالكية وغيرها من الفرق تتمتع بحرية

---

[1] محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية المغرب الإسلامي، دار القلم النشر و التوزيع الكويت 1987 ص82 حضارتها و علاقاتها الخارجية بالمغرب و الاندلس (160-296هـ).

[2] علي يحي معمر: الإباضية بين الفرق الإسلامية، المطبعة العربية ، غرداية ، الجزائر.

[3] أبو زكرياء: سير، ص 102.

الفكر وإبداء آرائها وكان علماؤها أي هذه الفرق لا يلقون معارضة ولا مضايقة سواء من الحكام أو من العامة التي كان أغلبها اباضيا وقد كانت لهم مساجدهم و حلقاتهم الخاصة[1]. ذكر البارووني العديد من العلماء غير الإباضيين كانت إقامتهم بتيهرت بدون فرض قيوداً وإزعاج على غرار محمد بن عيسى الحنين التميمي و عبد الله بن حمود بن هلوب بن داوود و عبد الله محمد بن عيسى[2]. بالإضافة إلى مؤرخ الدولة ابن صغير و الذي يعد مؤرخا عالما من علماء تيهرت.

تذكر المصادر حادثة وقعت بين العلامة أبي عبيدة الأعرج[3]و الإمام أبي اليقظان حيث كانت له حاجة عند الإمام وقضاها دون تردد[4]. ولنا في كثرة المناظرات و تعددها ملامح أخرى عن مدى تقبل الأئمة الرستميين لغيرهم من الأعراق و المذاهب و ذلك دون فرض قيود عليهم[5].

و يذكر محمود إسماعيل مدى سماحة الأئمة مع باقي الفرق إلى أبعد الحدود، ومثال ذلك يتجلى في العديد من الصور ومن هاته الصور أن بعض المالكية وغيرهم تولى مناصب عامة في تيهرت[6].

ومن أبرز ما يوضح مكانة العلماء في العهد الرستمي ونقصد بذلك أنهم وصلوا إلى حد التمكن من الاجتماع مع أهل الحل والعقد والشورى وصلاح الرأي والدراية[7]، حتى ينصبوا إماماً بعد عيد

---

1 محمد الطمار: المرجع السابق، ص 94.

2 البارووني: المصدر السابق ص98-99.

3 ستأتي ترجمة أبي عبيدة في المطلب الثالث المبحث الثاني .

4 البارووني: المصدر السابق، ص320.

5 نفسه، ص154.

6 محمود اسماعيل: الخوارج في المغرب الإسلامي، ص294.

1 عثمان الكعاك: موجز تاريخ الجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي . دار الغرب الإسلامي بيروت .ط1 2003 ص12.

الرحمان بن رستم. فكان حضورهم السياسي ايجابيا في أغلب الأحيان وكذلك كانوا ضمن من نصّب الإمام أبا حاتم يوسف بن أبي القظان، والإمام يعقوب بن أفلح.

عموماً اهتم الأئمة بالعلماء أيما اهتمام وتوجد أمثلة متعددة حفل بها التاريخ الرستمي تبرز ما مدى وصل إليه الرقي العلمي حتى انهمك كانوا يمضون جل وقتهم يعلمون العام والخاص في المساجد[1].

المطلب الثالث: أشهر علماء العهد الرستمي.

عرفت الدولة الرستمية العديد من العلماء في شتى فنون العلم والمعرفة فمنهم من وصلت إلينا أخبارهم ومنهم من لم تذكرهم كتب التراجم وقد كانت توجهات هؤلاء الإعلام مختلفة اختلاف تكوين الدولة الرستمية.

ومن هؤلاء العلماء المهدي النفوسي. قوام الجدال ومدرة النضال المقدم في علم البرهان والاستدلال صد مكائد النفاث ، ناظر الواصلية وإمامهم فأقام عليهم الحجة وأفحمهم[2] وصاحبه أبو المنيب محمد ابن يانس المجالد لنفسه كان همه النهي عن المنكر وإتيان المعروف وقد قال مرة "

أما أنا فقد أخذت تفسير القرآن عن الثقات وعلمته عنهم إلا حرفا أو حرفين فاني اضطررت أن أجد مخرجا"[3]. إضافة إلى ذلك العالم أبي الفضل أحمد التيهرتي ومشاهير بيت آل الطبني وسعيد بن واشكل

[1] علي دبوز: المرجع السابق ،ج3 ، ص303

[2] الدرجيني: الطبقات ،ج1 ،ص313-314

[3]االدرجيني: المصدر السابق،2 ص103

التيهرتي[1]. هذا دون نسيان العالم العارف أبو خليل اليدركلي أحد عِظام العلماء[2]. وأبو الفضل أحمد بن القاسم التميمي[3]. لا يسعنا المجال لذكر جميع علماء العهد الرستمي فقد حفِل هذا الأخير بالعديد من العلماء والأعلام منهم من جاء ذكرهم في المصادر ومنهم من أُهملوا، ولنا أن نذكر شخصيتين مختلفتين اختلاف تنوع النسيج الاجتماعي والثقافي الرائع للدولة الرستمية.

الإمام العالم عبد الرّحمان بن رستم:

يوجد بعض الاختلاف في أصل الإمام عبد الرّحمان الأول[4] في حين أجمعت معظمها على أصله الفارسي، وقد ذكرت المصادر أن رستم أبو عبد الرّحمان قد كان له علم مسبق بأن ذريته ستحكم أرض المغرب[5]. نشأ عبد الرّحمان بالقيروان بعد أن تزوجت أمه رجلاً منها وذلك بعد أن توفي زوجها.شبّ الإمام واشتد ساعده ثم طلب العلم حتى بلغ مبلغ الكِبار فنصحه أحدهم بالرحيل إلى أبا عبيدة مسلم بن أبي كريمة[6].

ثم اتصل بعدها بسَلَمَه بن سعيد داعي الإباضية في المغرب، وبعدها توجه إلى البصرة لطلب العلم فكان له ذلك مع إخوانه المغاربة وبعدما التُمِست فيه النّباهة والفِطنة عُدَّ الإمام في نظر الإباضية في مرتبة حسنة، فكان له ما كان مع الإمام أبي الخطاب من وقائع سياسيةإلى أن أنتخب كإمام الإباضية في المغرب سنة 160هـ وفي رأي آخر 162هـ [7].

---

1 الجيلالي عبد الرّحمان المرجع السابق ص336

2 الدرجيني المصدر السابق ج2 ص300

3 الميلي المرجع السابق ج3 ص79

4 إبراهيم بحاز المرجع السابق ص 121.

5 ابو زكرياء سير، ص54.

6 نفسه ص94.

7 الدرجيني الطبقات ج1 ص40.

شيد الإمام عبد الرّحمان تيهرت[1] وسار بهم سيرة جميلة أولهم وآخرهم ولم ينقموا عليه في أحكامه حكماً ولا في سيره سيرةً[2]، حتى بلغ بِعدلِه ووَرَعِهِ أسماء إخوانه في المشرق، فأرسلوا إليه بمساعدات لما عرف عليه من سيرة حسنة.عُرف عن الإمام العلم الغزير الوافر ويذكر أنّ للإمام بعضا من التأليف في التفسير وديوان خطبٍ ورسائل إخوانية[3]. ساد الإمام قومه مابين تسعة إلى إحدى عشر سنة إلى أن تولّى بعده الإمام عبد الوهاب ذلك بعد أن جعلها شورى بين سبعة من الأشخاص هم: مسعود الأندلسي، وقد كان رجلا فاضلاً، فقيهاً وَرِعاً، وأبو قدامة يزيد بن فندين ورجلاً يُقال له عمران بن مروان الأندلسي، وعبد الوهاب بن عبد الرّحمان، وأبو الموفّق بغدوس بن عطيّة، وسكر بن صالح الكتامي، ومصعب بن سلمان[4].

الشاعر بكر بن حماد : 200-296هـ:

هو بَكْر بن حمّاد بن سهل بن أبي إسماعيل الزناتي، من أشهر علماء وأدباء الدولة الرستمية، وُلد ونشأ بتيهرت حوالي 200هـ، فأخذ العلم والأدب عن علماء بلده، ثم ارتحل إلى القيروان فأخذ عن أمثال صاحب المدونة سحنون بن سعيد[5]. كان ثقةً عالماً بالحديث ورجاله، شاعراً فصيحاً[6] ارتحل إلى المشرق سنة 217هـ وأخذ الحديث عن أبي مسدّد وبشر بن حجر. إلتقى خلال رحلته المشرقية دعبل الخُزاعي شاعر آل البيت، وعلي بن الجهم وغيرهم مِن الأدباء[7].كان مجلسه حافلاً بالطّلبة على اختلافِ مذاهبهم، عاد إلى تيهرت سنة 295هـ ثم كانت وفاته بها بقلعة ابن حمة شمال تيهرت وذلك في شوال 296هـ، ومن الصدف أنه توفي في السنة التي تمكّن فيها الدّاعية الفاطمي من الدخول إلى

---

[1] ابن عذارى ، البيان ج1 ص196.

[2] ابن الصغير المصدر السابق ص27.

[3] الجيلالي عبد الرّحمان المرجع السابق ص 227-228.

[4] أبو زكرياء: سير، ص84.الباروني: المصدر السابق، ص132.

[5] الجيلالي المرجع السابق ص242

[6] الدباغ عبد الرّحمان معالم الايمان في معرفة أهل القيروان، تح ابراهيم شبوح، مطبعة السنة المحمدية،مصر ،ط2، 1968،ص282.

[7] الميلي المرجع السابق، ص82.

تيهرت والقضاء على عاصمة المغرب الأوسط وإمامة الرستميين[1]. وقد كان بكر شاعرا مُفلِقاً سمع للفقهاء وجُلة من العلماء[2]، وقد مدح المعتصم الخليفة العباسي خلال تواجده بالمشرق[3].

ذكر الباروني في الأزهار الرياضية أن بكر يمكن أن يكون إباضي أو صفري المذهبِ[4]، ورغم أن الشّعراء يقولون مالا يفعلون إلاّ أن القصيدة التي ذكرها الشّاعر والتي مدح فيها أحمد بن القاسم بن إدريس حاكم مدينة "كرت" والتي رواها الباروني نفسه تظهر بعضاً من التناقض، إضافة إلى مدحه للمعتصم فكيف لهذا الشّاعر الذائع الصّيت الإباضي أو الصفري المذهب أن يمدح المعتصم أو غيره، رغم ما يحمله هؤلاء من عداوة لبعضهم البعض؟!.

المبحث الثالث: أهم العلوم المتداولة.

[1] جيلالي المرجع السابق ص343

[2] ابن عذارى البيان، ج1 ، ص153

[3] الباروني المرجع السابق، ص91

[4] نفسه، ص90.

المطلب الأول: العلوم النقلية.

أ–الفقه:

حسب ابن خلدون الفقه هو "معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والنّدب والكراهة والإباحة[1]".

اقتضى الواقع السياسي بالمغرب اهتمام كل مذهب بعلوم الدّين حتى يُظهر صوابه في المسائل الفقهية، وبما أنّ الإباضية إحدى هذه المذاهب كان لازماً عليهم الاهتمام به حتى يُظهروا تعاليمه بما أنّه حديثُ العهد بالمغرب الإسلامي[2]. يوجد العديد من رجال الفقه في الدولة الرستمية، أهمهم عيسى بن فرناس النّفوسي، وأبو الرّبيع سلمان، وعثمان بن أحمد، وابن أبي ادريس، وأبي العباس بن فتحون، وعثمان بن الصفار[3]، بالإضافة إلى ذلك العلاّمة أبو عبيدة الأعرج، وقد كان الإباضية وغيرهم يحترمون هذا الرجل لعلمه، وعبد العزيز بن الأوز[4] الذي كان عالماً عارفاً إلا أن سفاهة لسانه ترجح عدم ذكره في المصادر، ويبقى ما قامَ به عمروس بن فتح حين استوقف هذا الرجل الفقيه أبو غانم الخُرساني، وطلب منه أن ينسخ مدونته حتى يستفيد منها أهالي نفوسة، وقد كان أبو غانم قاصداً تيهرت إلاّ أنّه رضخ لطلب عمروس بن فتح قاضي الجبل[5]، وقد همّ هذا الأخير بأن يجعل تأليفا في الفقه لم يسبقه إليه أحد، حيث فرّق العلم على ثلاثة أوجه: التّنزيل، والسنّة، والرّأي، وكل ما يتعلق بكل واحدة منها[6].

ولنا في بعض الآراء الإباضية في الفقه ما أورده البغدادي في المِلل والنِّحل حيث قال:" ومنها قول الإباضية بجواز أمر الله عنده بحكمين متضادين في شيء واحد، فقالوا إن ذلك كمَن دخل زرعاً لِغيره

---

1 ابن خلدون: مقدمة، ص416.

2 إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص372.

3 ابن الذيب عيسى وآخرون: المرجع السابق، ص51.

4 إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص374.

5 تالية سعدو: المرجع السابق، ص21.

6 الدرجيني: الطبقات، ج2، ص321.

فهو مأجور بالخروج منه، منهيٌ عنه لأن في خروجه إفسادٌ لزرع غيره[1] "، وتعزى بعض المراجع أن أسباب الاضطرابات في الدولة الرستمية يرجع بعضها إلى أسبابٍ فقهيةٍ، وأخرى إلى أسبابٍ قبَليةٍ طائفية، تظهر روح الاجتهاد حاضرة بقوة عند الرستميين في الفقه وما اختلافاتهم إلاّ دليلٌ على ذلك[2]. عموماً كان الفقه الإباضي في العهد الرستمي حاضراً واضحاً للعيان ومشاهده كثيرة في تاريخ الدولة الرستمية.

ب–التفسير:

بما أنّ البربر في تلك الفترة كانوا من أبعد الناس عن اللغة حيث لم تكن لهم دراية كافية بخباياها، لذلك كان لازماً عليهم فهم القرآن وتفسيره لِما له مِن أهمّية في حياتهم الدّينية والدنيوية، وقد كان محمّد بن يانس من أشهر مفسري الدولة الرستمية[3]. اهتم الرستميون بالتّفسير وكانوا يعتمدون على تفسير القرآن إن اضطرهم الأمر عن طريق اللغة البربرية والشرح اللفظي حتى يستوعبها العوام[4]، وقد كان لمؤرخ الدولة الرستمية نفسه مناظرة في التفسير مع أحد الإباضية وهو سلمان المكنّى بأبي الرّبيع[5]. ومِن أشهر مفسري الدولة الرستمية محمد بن يانس الذي سبق ذكره وقد قال مرة خلال مناظرة مع الواصلية " أمّا أنا يا أمير المؤمنين فقد كَفيتُك فنون التّفسير إن شاء الله[6] "، ولوّاب بن سلام الذي كان له كتاب شرائع الدّين، حيث فسر فيه جزءاً من سورة الشّورى وتعرّض فيه إلى حُكم الحِجاب[7].

---

[1] البغدادي: الملل والنحل، ص79.

[2] محمود اسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب، ص154.

[3] إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص358.

[4] ابن الذيب عيسى وآخرون: المرجع السابق، ص47.

[5] ابن الصغير: المصدر السابق، ص104.

[6] أبو زكياء: سير، ص105.

[7] إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص358.

بالإضافة إلى الإمام عبد الرّحمان الذي ينسب اليه التّأليف في التّفسير[1]، كذلك هود بن محكم الهواري له تفسير يقع في سفرين كبيرين[2].

وفي الأخير يبدو اهتمام الرستميين بالتفسير واضحا، وذلك لعدة أسباب سواءاً مذهبية كانت أو سيّاسية، وذلك لأنّهم تموقعوا وسط المغرب الإسلامي والذي هو نسيج من الثّقافات والمذاهِب والأعراق.

ج-علم الحديث

لم تكن لرجال المغرب الإسلامي وثقاته مشاركة واضحة في علم الحديث، ويرجع ذلك للبعد الجغرافي عن مَبعَث النّبوة، وهي في الحقيقة الأرض الخِصبة لتقصّي حقائِق الحديث على غرار المغرب الإسلامي.

لم يكن للرستميين حظاً كبيراً في علم الحديث، إلاّ أنّ لهم سلسلة تمتد من حملة العلم الخمسة إلى مدرسة أهل البصرة من الإباضية حيث يرجعون إليها عند لُزوم الأمر، ويعتبر جابر بن زيد الأزدي باعث علم الحديث في الإباضية، حيث التقى سبعين صحابياً، وأخذ عنهم، إلاّ أنّه لم يلتقي بعبد الله بن عباس فحَزَّ ذلك في نفسه[3]، ويعتمد الإباضية بما فيهم الرستميين على مسند ابن حبيب الذي عاصر الإمام عبد الوهاب بن عبد الرّحمان والتي جاءته كتبٌ من المشرق[4]، ومن أشهر من اعتنى بالحديث في العهد الرستمي عمروس بن فتح وأبي عبيدة الأعرج[5]، بالإضافة إلى العديد من الّذين اهتموا بالحديث إلاّ أنهم على غير مذهب الإباضية، منهم بكر بن حماد الشّاعر الذي كان عالماً

[1] عمرو النامي: المرجع السابق، ص114.

[2] إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص361.

[3] نفسه،، ص366.

[4] ابن الذيب عيسى وآخرون: المرجع السابق، ص49.

[5] نفسه، ص50.

بالحديث[1] كذلك سعيد بن عباس السرتي وأبو عبيد عبد الرّحمان وقاسم بن أصبغ، أبو عبد الله محمد بن صالح القحطاني المعافري الأندلسي[2].

يبدو أن نقص مصنّفات علم الحديث عند الإباضية هو الذي جعل أبا عبيدة الأعرج التيهرتي العلاّمة الفقيه صاحب البيان وعلم الكلام يلجأ إلى دراسة كتب غير إباضية وتدريسها في الوسط الرستمي، وفي قصّة ابن الصغير مع أبا عبيدة مثال ذلك، حيث سمع مؤرخ الدولة الرّستمية كتاب إصلاح الغلط الذي ألّفه عبد الله بن مسلم بن قتيبة، وهذا الكتاب يجمع غرائب الحديث كما يذكُر لنا النّديم[3].

المطلب الثاني: العلوم العقلية:

-أ- علم الكلام والفلسفة:

للإباضية باعٌ قديم في الفلسفة وعلم الكلام وذلك قبل قيام دولة بني رستم، وقد كانوا خصوماً للقدرية[4].

ومن سمات الدولة الرستمية كثرة المناظرات التي يقوم أساسها على علم الكلام والفلسفة، وبما أنّها عرفت "بعراق المغرب"[5] فقد عرف عن تيهرت العديد من المذاهب التي خلقت جواً من المناظرات فيما بينها للوصول إلى الصواب، فكانت خلافاتها فقهية عقدية إلاّ أنّها في حقيقة الأمر سياسة

---

[1] ابن عذارى: البيان، ج1، ص154.

[2] إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص369.

[3] نفسه، ص367.

[4] سلفادور غومث نوغاليس: الرستميون قنطرة الصلة بين الجزائر والأندلس من خلال الإباضية، مجلة الأصالة، العدد49، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 1975، ص15

[5] ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص08.

الباطن فنتج عن الإباضية نفسها النكارية والنفاثية بالإضافة إلى الوهبية وهي الأصل[1]. ومن أشهر المناظرات والمنازلات العلمية ما حدث بين الإمام عبد الوهّاب والواصلية، حيث استدعى الإمام علماء نفوسة وشيوخها وقد بعثوا له بأربعة رجالٍ هم: المهدي النفوسي ومحمد بن بانس وأيوب بن العباس وأبو محمد فارس[2]. وكان للإباضية النّصرة في آخر المناظرة بين المهدي وعالم الواصلية الذي لم تَذكر المصادر اسمه[3]. تظهر كثرة المناظرات كذلك فيما جرى بين ابن الصّغير وسلمان الملقّب بأبي الرّبيع من مناظرة في تفسير القرآن[4]. بما أنّ المناظرات كانت إحدى سِمات الدّولة الرستمية فإنّ ذلك يرجع إلى طبيعة القرون الأولى للإسلام فقد كان لازماً على المسلمين البحث والتأمل أكثر في تشريعهم الجديد وكان لكلٍّ منهم توجهات ومبادئ، وكانت الخلافة[5] محور خلاف المسلمين وعندها ظهرت العديد من الفرق والمذاهب. ومن سماحة الرستميين أنهم جعلوا الفرق الأخرى المقيمة بتيهرت تطرح أفكارها دون قيود[6]، وتكون عادة الغلبة في المناقشات لمن أكثر حجّة واطلاعاً وأرجح عقلاً، ومنة فقد اتّسمت الدولة الرستمية على مدار سيرتها بالمناظرات وعلم الكلام، فكان لذلك أثر إيجابي على الساحة الثقافية والعلمية للدولة الرستمية.

-ب-اللغة العربية وآدابها:

---

[1] إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص394.

[2] أبو زكرياء: سير، ص102.

[3] نفسه، ص102.

[4] ابن الصغير: المصدر السابق، ص57-59.

[5] إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص292

[6] الحريري: الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، ص236

اللغة العربية حسب الشيخ علي دبوز هي اللغة الرّسمية للدولة الرستمية، حيث كانت الخُطب والرسائل والمعاهدات بين السلطة والعامّة كلّها تتم باللغة العربية[1]. ويرجع اهتمام الأئمة باللغة العربية لأنّها أصلُ التّعليم، ويمكن من خلال الحضور المختلف للأعراف إدراك ما مدى انتشار العربية بين الرستميين[2]، واستيعاب العامة لها نسبي.

إلاّ أنّ هناك رأي آخر يرجح أن اللغة العربية والبربرية كانتا معاً في معظم أطوار الدولة ولم يكن للعربية شأن كبير قبل القدوم الهلالي[3]. ويرجع عدم الحضور القوي للغة ربما لاهتمام السلطة بالعلوم الدينية أكثر،[4] لأنّ الدّين يمثل محور الحياة للمسلمين آنذاك.

إلاّ أنّ الشاعر بكر بن حماد[5]يطرح عدة تساؤلات لأنّ نشأته كانت بتيهرت، حيث كان له من المستوى ما يقارع به فطاحل الشعر بالمشرق والمغرب على غرار دعبل الخزاعي، فكيف لهذه الدولة أن لا يكون لها حضوراً وافراً في اللّغة وآدابها، رغم هذا الشاعر وأمثاله التي ربما لم تذكرهم المصادر أو ذكرتهم وغيّبت

[1] علي دبوز: المرجع السابق، ص362.

[2] ابن الذيب عيسى وآخرون: المرجع السابق، ص54.

[3] إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص416.

[4] نفسه، ص421.

[5] ابن عذارى: البيان، ج1، ص154.

-ج- الحساب وعلم الفلك: "بلغنا

أنه عقدت عليه أربع حلق يتعلمون عنده فنون العلم قبل أن يبلغ العلم وبلغ في الحساب الضياء والنّجامة مبلغا عظيما"[1]، هكذا وصف أبو زكرياء الإمام أفلح بن عبد الوهاب ومدى مستواه العلمي.

اشتهر علماءُ تيهرت بالعلم والفلك والحِساب، وكان الغرض منه لسببين: الأول الغرض الديني ومنه يعرف مواقيت الصلاة وحلول رمضان وانتهاء الصيام، أما الغرض الثاني فيتعلق بالتِّجارة وأحوالها.

وقد قال أحد أفراد الأُسَر الرستمية "معاذ الله أن تكون عندنا أمة لا تعرف منزلة القمر"[2] إشارة لاهتمامهم بالحساب وعلم الغبار ولو أنها مبالغة نوعا ما ويرجع تفوق الرستميين في هذا المجال إلى كثرة احتكاكهم بالغرباء من الأجناس[3]، ومن خلال ما ذكره أبو زكرياء عندما قال " كان بيت الرستميين بيت العلم في فنونه من الأصول والفقه والتفسير وعلم اختلاف النّاس وعلم النّحو والإعراب والفصاحة وعلم النجوم"[4]. ندرك مدى مراعاة الرستميين لهذا العلم واهتمامهم به.

-د-الطب:

لم يكن للرستميين حظٌ وافر في مجال الطّب، إما لحقيقة الأمر وإما لعدم ذكره في المصادر، إلا أن وجود العديد من الأجناس على غرار النّصارى واليهود يرجح وجود نشاط خاص بالتّداوي[5]، بالتطبّب. ورغم ذلك توجد بعض الإشارات الطفيفة السطحية التي تتكلم عن الطّب في العهد

---

[1] أبو زكرياء: سير، ص136.

[2] أبو زكرياء: سير، ص99. الدرجيني: طبقات، ج1، ص56.

[3] إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص455.

[4] أبو زكرياء: سير ، ص99.

[5] ابن الذيب عيسى وآخرون: امرجع السابق، ص61.

الرستمي، فقد كان للإمام عبد الرّحمان حفيد يسمّى محمد بن سعيد يهتم بالطّب، إلاّ أنّه كان في الأندلس[1]. ولكن من غير المعقول أن تتوفر الدّولة الرستمية على العديد من صور الرّقَي والتّمدن ولا يكون لها حظاً ولو نسبيا في مجال الطّب ولا يمكن للدولة الرستمية أن تغفل هذا التخصص لما فيه من أهمية عند البشر[2].

[1] إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص433.

[2] علي دبوز: المرجع السابق، ج3، ص331.

الفصل الثاني

التعليم في العهد الحمادي

المبحث الأول: المؤسسات التعليمية عند الحماديين

المطلب الأول:الحلقات العلمية في المساجد

المطلب الثاني: الكتاتيب

المطلب الثالث:المكتبات

المبحث الثاني:اهتمام السلطة بالتعليم والعلماء

المطلب الأول:اهتمام السلطة بالتعليم

المطلب الثاني:علاقة العلماء بالسلطة الحاكمة

المطلب الثالث:أشهر علماء العهد الحمادي

المبحث الثالث: أهم العلوم المتداولة في العهد الحمادي

المطلب الأول:العلوم النقلية

أ – الفقه

ب – **علم** الحديث

ج – التفسير وعلم القراءات.

المطلب الثاني: العلوم العقلية

أ – **الطب و الصيدلة**.

ب– الحساب وعلم الفرائض.

د – علم الهندسة والعمران.

المبحث الأول: المؤسسات التّعليمية عند الحماديين.

1- الحلقات العلمية بالمساجد:

كانت الدّولة الحمّادية تحتوي على عدد كبير من المساجد، فحماد عندما اختط الدولة القلعة استكثر فيها المساجد[1]، ومن بين هذه المساجد نجد: المسجد الكبير، ومسجد المنار[2].

وقد عرفت الدولة الحمّادية حوالي تسعين مفتياً، وكان وجودهم بالمسجد، فهذا العدد الكبير من المفتين دلالة على وجود نشاط حركي في مجال التعليم[3] العامة او النظامي. كانت المساجد أعظم المراكز الفكرية لدراسة القرآن الكريم والحديث والفقه واللغة وغيرها من العلوم، فقد كان المسجد في أول عهده مركباً مؤسساتياً[4]،وأصبحت فيما بعد كثير من المساجد مراكز هامة للتعليم[5].

ومن الطبيعي أن المسجد كان يؤدي دورا تعليمياً، فلم يكن ثمّة مسجد في المدينة خالياً مِن المدرّسين، وبهذا أصبح المسجد بمثابة مؤسّسة للتّعليم، ولعل أشهر مسجد هو المسجد الكبير[6] واختلفت العلوم التي كانت تدرس بالدولة الحمّادية فهي متعددة بين العلوم الدينية والعلوم اللغوية

---

[1] عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص254.

[2] رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص210.

[3] عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ص380.

[4] سبق شرح هذا المصطلح في الفصل الأول للمبحث الأول في المطلب الأول.

[5] حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام: السياسي، الديني، الثقافي، الاجتماعي ط15، دار جيل، بيروت، 2001، ج4 ص399.

[6] عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص253.

لـذلك اسـتقطبت الكثـير مـن رجـال العلـم والمعرفـة، ومـن أبـرزهم عبـد الحـق البجـائي (514-582هـ/1120-1186م)[1]و الفقيه الفيلسوف ابي حامد الصغير واللغوي النحوي الحسن بن علي التيهرتي[2] غيرهم من العلماء و المدرسيين.

المطلب الثاني: الكتاتيب

قال ابن خلدون: "إعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين، أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في أمصارهم لما سبق به إلى القلوب من رسوخ الإيمان، وعقائد من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي يبني عليه ما يحصل من الملكات وسبب ذلك أن تعليم الصغر أشد رسوخا وهو أصل لما بعده، لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للمَلَكَات"[3].الكتاتيب مفردها كُتّاب، أو ما يسمى المكتب، أو المسيد، وهو لفظ مشتق من التّكتيب وهو أيضا تحريف لكلمة مسجد[4] وتصغير له: مسجد، مسيجد، المسيد بالمحلية المغربية، فالكتاب هو الذي يعلم التلميذ الكتابة.

شهدت الدولة الحمّادية كغيرها من حواضر المغرب الإسلامي، ظهور هذا النوع من المراكز العلمية، حيث كانت ضمن المنهج الدراسي، وهي بمثابة التعليم الابتدائي وهي مشابها في دورها للمسيد "

[1] رشيد بورويبة وآخرون: الجزائر في التاريخ3، العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، للمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص261.

[2] يحي بوعزيز :اعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة،دار الغرب الاسلامي ،ط1،بيروت لبنان1995،الجزاء الاول

[3] ابن خلدون: المصدر السابق، ص536.

[4] أحمد عبد الرزاق: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ، دار الفكر العربي،ط2 ،القاهرة، 1997، ص21.

ومن أشهر معلميها: أبو حفص العبدري فقيه ومدرس بجامع الدولة الحمّادية توفى سنة (519هـ/1125م)[1].

كان الهدف من هذه الكتاتيب هو انتشار القرآن و تعليمه للصبيان، وبعدها تعددت مهامه ليهتم بقواعد اللغة العربية وبعض مبادئ الشريعة[2]. ومما يجدر بنا ملاحظته أنّ تعليم القراءة والكتابة للأطفال في الكتاتيب لم يكن مقصودا لذاته، بل كان يتخذ وسيلة فقط لكي يستطيعوا قراءة القرآن من المصحف، وكتابته في اللوح دون أخطاءٍ إملائية، والغاية منها غرس الروح الإسلامية وتنميتها في قلوب المترددين عليها من خلال حفظ القرآن وتطبيقه. كان للبدو نصيبهم في التعليم، فقد عُرفت عندهم "الشريعة" التي تشبه الكتّاب، وهي في حقيقة الأمر خيمة، ومن خلال ما سبق ندرك أن "المسيد" ارتبط بالمدينة و "الشريعة" بالبادية[3]. ودعماً لمل سبق كان التعليم في الكتاتيب لايقتصر فقط على تعليم الصبيان العلوم السابقة، بل للكتاتيب أهداف تربوية أخرى، تتمثل في تربية النّشْء وهي أحسن تربية[4]

المطلب الثالث: المكتبات:

1 عبدالحليم عويس: المرجع السابق،ص253

2 يوسف أحمد حوالة: الحياة العلمية في إفريقية منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس للهجرة، ط1، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2000 ج1، ص227.

3 عبد الحليم عويس:المرجع السابق، ص253.

4 محمد الشريف سيدي موسى: مدينة بجاية الناصرية دراسة في الحياة الاجتماعية والفكرية، دار الكرامة للنشر والتوزيع الجزائر 2011، ص107.

يبدو أن أول مكتبة في الإسلام هي مكتبة الرسول عليه الصلاة والسلام، حيث كانت تجمع ما يدونه كتّاب الوحي من تنزيل العزيز الحكيم من صحف للقرآن ووثائق ومعاهدات، ثم تطورت هذه المكتبة بتقدم الزمن، وبذلك نشأت المكتبة في الإسلام مع نشأة المساجد، وكغيرهم من المسلمين[1]، اهتم الحماديون بالكتب والمكتبات، شكّلت المكتبة أهمية بالغة لديهم، ولقيت عناية كبيرة جعلتها قبلة لرواد العلم والمعرفة وكثُرت المكتبات باتساع رقعة الدولة الإسلامية وانفتاحها على عدة حضارات،فاظهرت حركة الترجمة، ونشطت بذلك حركة التأليف التي أسهمت في إثراء المكتبات[2].

بما أن الدولة الحمّادية حاضرة علمية للمغرب الأوسط في القرن 5هـ /11م، فمن الطبيعي أن تحتوي على أمّهات الكتب في المكتبات، خاصة وأن أمراء الدولة الحمّادية ساهموا في تنشيط حركة التأليف. فنجد بالدولة الحمّادية نوعا من المكتبات العامة، والتي تتجسد بشكل جلي في مكتبة جامع المنار التي كانت مملوءة بالكتب المحمولة من أقطار المغرب، وبلاد المشرق والأندلس وكذا المنقولة عن طريق تدريس أئمة وفقهاء الجامع[3].

أمّا النّوع الثاني من المكتبات فيتمثل في المكتبات الخاصة، التي كانت للأعيان من الأمراء و رجال العلم وقد ذكر الغبريني أنّه رأى نسخة حسنة لعائشة البجائية موجودة بالخزانة الأميرية ببجاية[4]، وتوجد

[1] محمد الشريف سيدي موسى:المرجع السا بق ،ص120

[2] الدفاع علي:روائع الحضارة العربية الإسلامية في العلوم،ط1، مؤسسة الرسالة بيروت، 1998، ص24.

[3] عبد الحليم عويس:المرجع السابق،ص258

[4] بن الذيب عيسى واخرون: المرجع السابق،ص 140

مكتبات أُنشِئت بأمر من الأمراء كالمكتبة الموجودة بجامع النّاصر والتي تحتوي كتباً محمولة من كافة أقطار العالم الإسلامي[1].

[1] نفسه:ص142

المبحث الثاني: اهتمام السلطة بالتعليم والعلماء

المطلب الأول: اهتمام السلطة بالتعليم

لطالما ارتبط الإبداع والإنتاج الفكري بالاستقرار الأمني، وهذا ما لمسناه في معظم أطوار الدولة الحمّادية[1]. اجتهد حماد الأمير في تعمير الدولة الحمّادية وأكثر فيها المساجد، وبما أن الدولة الحمّادية دولةُ هندسةٍ وبناء كان لابد لها من تشييد العديد من المؤسسات التعليمية سواءاً كتاتيب، مساجد أو مكتبات، غايتها طبعاً رفع المستوى العلمي والثقافي لدولة بني حماد[2]. بلغ الأمراء الحماديون من تسامحهم درجة كبيرة، حتى أنهم كانوا لا يعترضون على المطارنة وكبار رجال الدّين المسيحي، وبذلك تسنى للعديد من الأجناس والأعراق والأديان القدوم للقلعة ومن بعدها بجاية، لقضاء أغراضهم المتعددة سواءا تجارية كانت أو علمية وغيرها من متطلبات العصر[3]. طبعاً كان لهذه السياسة الانفتاحية التي انتهجها الحماديون أثرٌ بالغٌ وإجابي على البيئة الثقافية للدولة[4].

[1] بن الذيب عيسى و اخرون:المرجع السابق ص122.

[2] عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ص379.

[3] ابن الذيب عيسى وآخرون: المرجع السابق، ص124.

[4] عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص252.

من أهم ما أنشأه أمراء بني حماد في المجال التعليمي والتربوي، معهد سيدي التواتي، الذي كان يحوي قرابة ثلاثة آلاف طالب، وقد اهتم هذا المعهد بتدريس العديد من العلوم والفنون من علوم عقلية ونقلية، وحتى الفلك الذي يندرج ضمن العلوم العقلية[1].

المطلب الثاني: علاقة العلماء بالسلطة الحاكمة:

استقطبت الدول الحمّادية نتيجة لسياستها الانفتاحية، العديد من رجال العلم والمعرفة الذين تقاطروا عليها من كل حدبٍ وصوب[2]، حتى أن العلماء كانوا يتناظرون في بلاط الحماديين[3]، ومن الصور الحسنة لعلاقة العلماء بالسلطة الحاكمة، ما تمثل في حمّاد بن إبراهيم بن أبي يوسف المخزومي الذي ألف كتابا في التاريخ والأيام وأهداه إلى العزيز بن المنصور[4]. كان الناصر بن علناس من أكثر الحكام الحماديين اهتماماً ورعاية بالعلماء والتعليم، فقد كان هذا الرجل محبا للشعر ذواقاً للأدب، كان الشعراء يمدحونه بشعرهم فيغذق عليهم العطاء ويطلق عليهم يده بسخاء[5]، ومثال ذلك عن معاملة ابن علناس الحسنة واللبقة مع أحد رجالات علم التاريخ في الدولة الحمّادية وهو أبو عبد الله محمد بن علي الصنهاجي صاحب كتاب النبذ المحتاجة في أخبار صنهاجة[6]، والذي أهداه للأمير ابن علناس، أما الأمير المنصور فلم يكتفِ بحبه للشعر والأدب بل كان هو نفسه شاعرا وأديباً بالإضافة للأمير يحي بن من صور الذي كان فصيح

[1] ابن الذيب عيسى وآخرون: المرجع السابق، ص125. يبدو أن هذا الاحصاءيات مبالغ فيها وذلك استناداً الى ظروف العصر.

[2] ابن الذيب عيسى وآخرون: المرجع السابق ،ص125

[3] الميلي:المرجع السابق،ص265

[4] نفسه،ص268

[5] عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص250.

[6] نفسه، ص 269.

اللسان مليح العبارة[1]. كانت المنح توزع باستمرار على النجباء من الطلبة وأرباب القرائح الذين ازدحمت بهم الدولة الحمّادية آنذاك، وقد أمَّ مدن الدولة العديد من أجِلّة العلماء المسلمين.

المطلب الثالث: أشهر علماء العهد الحمادي

اشتهر العهد الحمادي بالعديد من العلماء وبلغت أوجها في عهد الناصر بن علناس فقد وفد إليها خيرة أهل العرف آنذاك، وقد تعددت مللهم ونحلهم، وذلك لما عرفته من تركيبة اجتماعي متنوعة، فقد حملوا معهم هؤلاء العديد من العلوم والمعارف، من مختلف العلوم العقلية والنّقلية، ويتجلى ذلك من ما قام به أهل بيزا بإيطاليا، حيث كانوا ينزلون ببجاية، ويتعلمون ما شاء لهم من العلوم، فكان دافنشي ليوناردو أحد هؤلاء الذين تعلموا لغة الحساب في بجاية وأخذها معه الى اروبا فأدخل إليها الأرقام العربية[2]، ومن أشهر العلماء سواء الوافدين أو المقيمين ، أبوا الفضل النحوي، ابن حمديس، ابن الرمامة، ابوا عمران موسى الصنهاجي، ابو بكر بن المخلوف، ابن الرشيق القيرواني وغيرهم[3].

أ– أبو الفضل النحوي[4]: وهو يوسف بن محمد بن يوسف أبو الفضل المعروف بالابن النحوي عاش بين سنتي (433 – 513هـ / 1041 – 1119م)، أي ثمانين سنة هجرية وهو من مواليد مدينة توزر بالجنوب التونسي،عكف على طلب العلم ،فدرس بمسقط رأسه ثم انتقل إلى القيروان حتى نبع في

[1] نفسه، ص269.

[2] محمد الطمار: الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1983، ص 143.

[3] يحي بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1 1995،ج1، ص 36.

[4] ابن مريم: البستان في ذكر الالياء والعلماء بتلمسان ،راجعه وحققه الشيخ ابن ابي الشنب ،المطبعة الثعالبية ،1362 1908 ص 300، محمد الطمار: المرجع السابق، ص 141. بن الذيب عيسى واخرون : المرجع السابق، ص 129.

العلم.قال عنه ابن الآبار "...أنه أخذ صحيح البخاري عن اللخمي، وأخذ عن أبي عبد الله المازري ،وأبي زكريا الشقراطي ،وعبد الجليل الربعي ". ،وقد حكم عليه القاضي عياض بأنه مفيد حسن عرف ابن النحوي بغزارة علمه فكان عارفا بأصول الدين والفقه يميل إلى النظر والاجتهاد.ثم انتقل إلى القلعة واستقر بها، فاشتهر بنسبه لها، وفيها تتلمذ على يد ي آبي القاسم عبد الجليل الربيعي المعروف بالديباجي، وأبو عبد الله بن الفرج المازري المعروف بالذكي .وقد اخذ عن أبي الفضل جامعة من الأئمة كالفقيه أبي عبد الله محمد بن الرمامة رئيس المفتين بفاس والأخويين الفقهيين أبو بكر ومحمد ابني مخلوف بن خلف الله والفقيه أبي عمران موسى بن حماد الصنهاجي.ويظهر من خلال هذه ألاسماء أنه كان مدرسا، ساهم في نشر العلم بالدولة الحمّادية .في حدود سنة 494هـ /1100م، غادر ابن النحوي الدولة الحمّادية متوجها إلى سجلماسة بالمغرب الأقصى ،وأخذ يدرس بها فتضايق منه أحد رؤساء البلد ،وهو ابن بسام وقال بأنه يريد أن يدخل علينا علوم لا نعرفها " فقام بطرده منها.فاضطر ابن النحوي إلى ترك سجلماسة التي لم توفر له الجو المناسب لتبليغ رسالته، فلجأ بذلك إلى حاضرة فاس التي حل بها سنة (494هـ/1100م)، وانتصب فيها التدريس والإقراء.

وفي أثناء وجوده في مدينة فاس ضايقه قاضيها ابن دبوس، فخرج من فاس وتوجه إلى القلعة، وقد أخذ عى نفسه بالتقشف.يقول ابن الزيان ولما عاد أبو الفضل إلى الدولة الحمّادية أخذ بالتقشف، وهجر اللين من اللباس ولبس الخشن من الصوف وكانت جبته إلى ركبته [1]حيث أن أبو الفضل وجد الحرية

1ابن الزيات يوسف بن يحي، التشوق إلى رجال التصوف ،تح أحمد التوفيق منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1984، ص100.

الكاملة في ممارسة سلوكه الصوفي دون أن يتعرض له أحد.كان أبو الفضل لا يقبل حسنةاحد وعاش على محاصيل مزرعته التي يملكها في توزر[1]وقد اشتهر ابن النحوي بقصدته المنفرجة التي ذاع صيتها، وهي القصيدة التي أوردها الغبريني في كتابه "عنوان الدراية"[2] مشتملة على أربعين بيتا

ب– أبو عبد الله محمد بن الفرج المازري: المعروف بالذكي: صقلي الأصل سكن قلعة بني حماد، ثم رحل الى المشرق، فدخل العراق واصبهان، إلى أن مات بها[3]، وقد كان عالما فقيها حافظا نبيلا مدركا فهما صاحب بيان متفنن في علوم القرءان وجل المعارف أخذ عن العديد من المشائخ في بلده الاصلي وأخذ بالقيروان عن السيوري، والخرقي، ويروى في الاكثر ان السيوري كان يقول " ابن الفرج أحفظ من رأيت، فقيل له: تقول هذا وقد رأيت ابا بمر بن عبد الرحمان، وأبا عمران الفاسي !، فقال: هو أحفظ من رأيت".

تفقه على يديه أبو الفضل النحوي (ت 513هـ / 1119م)[4] والقاضي أبو عبد الله بن داود وحمل عنه أدب كبير وعلم جم ، من مؤلفاته: كتاب في القرآن سماه"الاستيلاء، لكنه لما سافر إلى المشرق ودخل بغداد وجد مذهب مالك بها قد درس وقل طالبه لم يحصل له بالفقه رئاسة هناك، فرأس بالنحو وعلم اللسان، فذهب عمله هناك بالسنة بضياع.ع الدولة الحمادية كثر بحيث لا يسعنا المجال لذكرهم.

1يحى بوعزيز:المرجع السابق ،ص32

2أبو العباس الغبريني، عنوان الدراية فمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق عادل نويهض، دار الأفاق الجديدة بيروت ص272، 278.

3محمد الطمار: المرجع السابق، ص 145.

4 القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام المذهب مالك، تص محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1418هـ/1998م، ج1، ص101 .

المبحث الثالث:اهم العلوم المتداولة

المطلب الأول: العلوم النقلية:

أ– الفقه :

بعد رجوع أسد بن فرات 142 213 من المشرق عرف المغرب الاسلامي انتشار واسع للمذهب المالكي ثم جاء الإمام سعيد بن سحنون بمدونته التي عززت من انتشار الذهب المالكي[1] .

1 محمد الشريف سيدي موسى:المرجع السابق،ص130

انطلاقا من هذا التاريخ بدأت الدراسات الفقهية تزدهر ثم أصبح المذهب المالكي رسميا مذهب دولة بني حماد، بعد عدة تقلبات سياسية ، فسر لذلك جميع الفقهاء ورجال الدين والشريعة فتقاطروا على الدولة الحمّادية مهنئين مستبشرين لإعادة الاعتبار إلى مخصبهم.[1] ويظهر جليا من خلال عودة المذهب المالكي إلى الدولة الاستقرار والثبات في الجانب الفكري والعقائدي[2]، ومن أبرز الفقهاء الذين أقاموا بالدولة وعاشوا تحت ظلالها عمر بن عبد الله بن زاهر الذي استوطن بونة وروى عن شيوخ عصره كأبي عمران الفاسي[3]، لم تكن المغاربة تبعية فقهية محضة، بل يوجد العديد من الفقهاء ورجال العلم على غرار ابن الأشرس والكتامي والبرادعي وغيرهم من أصحاب الفقه من كان ينتقد مدونة الإمام سحنون[4].يروي الحموي في معجم البلدان عن هارون بن نضر الريغي بمنطقة أريغ القلعة بالقرب من حسب أبو الطاهر بن سكينة عن أبا محمد عبد الله بن محمد بن يوسف أنّ هارون بن النضر كان يقرأ للإمام مالك[5] .

من أعلام الفقه الدين نبغوا وتركوا صدى قويا في التفكير الديني الإسلامي، نجد أبو عبد الله محمد بن الفرج المازري المعروف بالذكي الذي كان عالما متقدما في علم الفقه، وعالم بالمذهب، له مؤلف وهو

1محمد الشريف سيدي موسى:المرجع السابق ، ص116.

[2] عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص257.

[3] عبد الحليم عويس:المرجع السابق،ص260

[4] عبد الحليم عويس:المرجع السابق،258

[5] الحموي:المصدر السابق،ص113

عبارة عن تعليق كبير في المذهب.[1] وابن النحوي (ت513هـ / 1119م) الذي درس على يد الذكي كما ذكرت سابقا، فكان عارفا بأصول الذين والفقه.[2]

ب– علم الحديث:

لم تكن العلوم النقلية مقسمة خلال التدريس حيث كان العالم يحمل العديد من العلوم الدينية[3] وعرف ابن خلدون علم الحديث فقال: هو إسناد السنة إلى صاحبها والكلام عن الرواة الناقلين لها ومعرفة أحوالهم وعدلتهم، وكذلك لينفع الوثوق بأخبارهم ويعمل ما يجب العمل بمقتضاها[4].

ما نلاحظه هو قلة الاهتمام عند الحماديين وعلى غرار الرستميين بهذا بعلم الحديث، ربما يعود السبب في ذلك إلى الاهتمام بالدراسات الفقهية الأصولية باعتبارها إجبارية بالدولة الحمّادية، لانها توفر لدارسيها المناصب الإدارية ،ولهذا ركز الطلاب على هذه الدراسات وأهملوا علم الحديث هذا من جهة، ومن جهة أخرى علم الحديث يحتاج إلى ثقافة موسوعية وجهد كبير ووقت أطول للتطلع[5].

ج– التفسير و علم القراءات:

1القاضي عياض، المرجع السابق، ص622.

2 التنبكتي، المصدر السابق، ص622.

3 عويس:المرجع السابق،ص261

5ابن خلدون، المقدمة، 327.

5 عبد العزيز فيلا لي: قلعة بني حماد الحاضرة الاقتصادية ،والثقافية للمغرب الأوسط خلال القرن5هـ / 11م، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر، العدد7 ، 2007، ص7.

قال ابن خلدون:" القران هو كلام الله المنزل على نبيه، المكتوب بين دفتي المصحف، وهو متواتر بين الأمة، إلاّ أنّ الصحابة رووه عن الرّسول صلى الله عليه وسلم، على طرقٍ مختلفة في بعض ألفاظه وكيفيّات الحروف في أدائها، وتنقل ذلك واشتهر، إلى أن استقرّت منها سبعُ طرق معيّنة...."[1].

اهتم الحماديون بالتفسير وكان لهم العديد من المفسريين على غرار أبو محمد عبد السلام الزواوي 589 681 الذي لقي أفاضل علماء المشرق و المغرب[2]و منهم كذلك محي الدين بن العربي الأندلسي له تفسير في ستين جزء[3] كان أمراء البربر يحيون ليلهم ويقضون نهارهم في قراءة القرآن، وقد اشتهر في الدولة الحمّادية الحمّادية عدد لا باس به من العلماء في هذا المجال. من أعلام الدولة الحمّادية الذين تركوا صدى قويا في هذا العلم نجد أبو عبد الله محمد بن الفرج المازري المعروف بالذكي الذي تتلمذ على يديه عدد كبير من الدارسين بالدولة الحمّادية، له كتاب في القرآن سماه "الاستيلاء "[4]، كذلك نجد عماد الدين أبي الفداء إسماعيل صاحب كتاب تفسير القرءان العظم، وكتاب الوجيز للإمام إبن عطية، الذي لخص التفاسير السابقة، وبحث وتحر فيما هو أقرب من الصواب والصحة، فجعل بعد ذلك كتابا يتداوله، أهل العدوتين[5] المغرب والاندلس.

المطلب الثاني: العلوم العقلية:

[1] ابن خلدون: المصدر السابق، ص 405

[2] محمد الشريف سيدي موسى:المرجع السابق،ص157

[3] ابو العباس احمد بن احمد بن عبد الله الغبريني:عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية 644هـ-714،تح عادل نويهض، منشووات دار الأفاق الجديدة،بيروت،1979،ط2،ص157

[5]القاضى عياض، المرجع السابق، ص110، 111.

[5] محمد الشريف سيدي موسى,: المرجع السابق، ص 156

أ- الطب والصيدلة:

إهتم الحماديون بالطب والصيدلة، وذلك لأهميتها في حياة الناس ،وهاتين الصنعتين متلازمتين في العهد الإسلامي إذ لا يمكن فصل إحداها عن الأخرى.

وشهدت الدولة الحمّادية تطوّرا في هذا المجال، حيث كان سكان القلعة على دراية ببعض النّباتات الطبية التي تقيهم من العقارب الموجودة بالمنطقة ويقول في هذا الصدد الإدريسي "وبهذه القلعة عقارب سود كثيرة تقتل في الحال، فيتحصن من ضررها بشرب نبات الفوليون الحراني ،وهو بتلك الدولة الحمّادية كثير، فيزعمون أنه ينفع شرب درهمين منه لعام كامل فلا يصيب شاربها شيء من ألم تلك العقارب ".[1]

فمن خلال هذا النص يتضح لنا مدى التطور والازدهار الذي شهده الحماديون في مجال الطب، حيث عرفوا ما يسمى بالمداواة بالأعشاب الطبية هو ما يعرف اليوم بالطب البديل، إضافة إلى أنّهم على دراية بجرعات محدودة وهذا يدل كذلك على أن هناك تجارب أجريت على الدواء قبل أن يستعمل .

ومن مظاهر تطور الطب في الدولة الحمّادية بروز أطباء كبار بالدولة الحمّادية من بينهم أبو جعفر بن علي البذوخ (ت576هـ - 1780م)، المعروف بابن البذوخ الطبيب[2]،كان فاضلا خبيرا لمعرفة الأدوية و المركبات المفردة وله حسن نظر في الاطلاع على الأمراض ومداواتها.

[1] الإدريسي، أرض المغرب والسودان، ص86.

[2] رشيد بورويبة وآخرون، المرجع السابق، ص252.

لابن البذوخ القلعي الطبيب عدة مؤلفات في مجال الطب منها: الحواشي على كتاب"القانون لابن سينا "، و " شرح الفصول" لأبو قراط في أرجوزة، كتاب " ذخيرة الألباب في الباءة ".

ويذكر الصفدي أنه أطلع على إنتاجه الطبي فوصفه بالخبرة بالأدوية المركبة والمفردة ويحسن النظر والبحث في الأمراض ومعالجتها.[1]أما الطبيب الثاني هو أبو عبد الله بن علي الشهور بابن الرمامة الذي ولد بالدولة الحمّادية عام (478هـ/1085م)، ونبغ في الطب.[2]

ب– الحساب وعلم الفرائض :

عرف ابن خلدون علم الحساب فقال:" ومن فروع علم العدد صناعة الحساب، وهي صياغة علمية، في حسبان الأعداد بالضم والتفريق، فالضم يكون في الأعداد بالأفراد وهو الجمع...."[3]

برز في الدولة الحمّادية عدة علماء في الرياضيات خاصة في علم الحساب الذي يدرس في مساجدها ومعاهدها ومن أعلام الحساب نجد علي بن معصوم بن أبي ذر، عالم الحساب من كبار فقهاء الشافعية إمام فاضل عالم بالمذهب بحر في الحساب، وهو يدل على تفقه في علم الحساب[4]، كذلك نجد العلامة العارف أحد أشهر العهد الحمادي ابن منصور أبوا عبد الله محمد بن أبي بكر القلعي، كان فقيها عالما في علم الفرائض والحساب،تصد للتدريس مادة الحساب والفرائض(670هـ/ 1271م)، وامتد

[1] رشيد بورويبة وموسى وآخرون، الجزائر في التاريخ، ص252.

[2] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص37.

[3] ابن خلدون: المصدر السابق، ص 467.

[1]يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص37.

اهتمام الحماديون بهذا التخصص حتى بعد سقوط الدولة الحمادية، ومن أمثلة ذلك، سليمان بن يوسف بن إبراهيم الحسناوي البجائي (877هـ/ 1482م)، فقد كان هذا الرجل عالما بالفرائض والحساب، بالإضافة إلى تمكنه في علم المنطق، وقد نتعه يوما الشيخ زروق بأنه فقيه عالم.

إضافة إلى ذلك عرف عن بجاية أنّها استقطبت العديد من طلاّب العلم من جنوب ايطاليا، على غرار ليونار دو دافينشي، الذي كان يتعلم علم الحسب والجبر في بجاية[1].

ج–علم الهندسة والعمران:

اعتنى الحماديين بالفن المعماري فاحضروا المهندسين من إفريقية والمشرق حتى يكون لهم من العمران مثل حظ أبناء عمومتهم بالمغرب الأدنى فأسسوا الأسوار والقناطير والجسور وغيرها من مظاهر الملك، لذلك كانت[2] حركة البناء والتعمير التي عرف بها الحماديون قد احتاجت إلى كثير من المهندسين البارعين، وكانت قصورهم ومساجدهم خير دليل على تقدم الحماديين في هذا العلم.

فقد كان من الطبيعي أن يميل الحماديين إلى تلك الأبّهة والعظمة، فكل الظروف توفر لهم ذلك، ولهذا قاموا بالإفراط والإعجاز في الهندسة المعمارية للجزائر، ولم يكن ذلك وليد جهلهم بالتقنيات، فقلعتهم هي من إبداع سكان البلاد، فكانت طليعة للتقدم الفني والتقني في القرن الحادي عشر ميلادي.[3]

[1] محمد الطمار: المرجع السابق، ص 143

[2] نفسه،ص153

[3] عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص271.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على براعة مهندسها، رغم أن المصادر لا تمدنا بأسماء هؤلاء المهندسون والبناءون، لكن من خلال عظمة مباني الحماديين يتضح لنا أن هذا العلم كان

متطورا ، فقد أبدعت الحضارة الحمّادية في تشييدها للقصور وهذا ما أثبته الحفريات.إضافة إلى ذلك ظهور العديد من المنشآت العسكرية سوءاً في الدّولة القلعة أو بجاية[1]، ولنا في تعدد مدن الدولة الحمّادية أبرز مثال عن مدى تمكن الحماديين في مجال الهندسة و العمران[2]، وقد بقي لنا شيئ من أثار الحماديين وهو دلالة على تمكنهم، في الهندسة والعمران، ومن هذه الآثار التي بقية إلى يومنا هذا نجد السور وباب الأقواس وبرج المنار[3].

كان الحماديون على قدر كبير من الوعي المدني والعمراني، مما جعلهم يتفوقون في هذا المجال، في جغرافية المغرب الإسلامي، الذي عرف بقلة المنشأت العمرانية والهندسية قبل هذه الفترة، وسبب ذلك، يرجع إلى ابتعاد المسلمين في عهدهم الاول عن مظاهر الأبهة والأمير، وهذا ما تمثل في عهد الرستميين، و يتجلّى ذلك، عند قدوم المشارقة إلى الإمام عبد الرحمان وإستقباله لهم ببساطة رفقة خادمه، إلا أن هذا لا ينفي ما قدمه الحماديون من صورة راقية عن المغرب الأوسط.

[1] رشيد بورويبة:المرجع السابق،ص201

[2] عبد الحليم عويس:المرجع السابق:ص177

[3] رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص202.

الفصل الثالث

أوجه التشابه والاختلاف بين الدولتين في المجال التعليمي

المبحث الأول: أوجه التشابه بين الدولتين في المجال التعليمي.

المطلب الأول: المؤسسات التعليمية ونظم التدريس.

المطلب الثاني: اهتمام السلطة بالتعليم والعلماء.

المبحث الثاني: أوجه الاختلاف بين الدولتين في المجال التعليمي.

المطلب الأول: الأوضاع والتوجهات السياسية وأثرها في البيئة التعليمية.

المطلب الثاني: التوجهات المذهبية وأثرها في البيئة التعليمية.

المبحث الأول: أوجه التشابه بين الدولتين في المجال التعليمي.

المطلب الأول: المؤسسات التعليمية ونظم التدريس.

تميز المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط بوحدة حضارية رغم التباين السياسي في معظم الأوقات، وتظهر هذه الوحدة من خلال عدة صور مثل الحياة الاجتماعية أو الثقافية أو غيرها من مشاهد الالتقاء الثقافي، مثل نظم التعليم ومؤسساته التي كانت جد متقاربة في المغرب الإسلامي[1]وهذا ما تجلّى بين الرستميين والحماديين، فنظام التعليم كالحلقات التعليمية والكتاتيب فقد كانت متقاربة حيث أن الرستميين عرفوا نظام الحلقة والكتاتيب[2] وعلى منوالهم سار الحماديون[3] ويلاحظ بعض التفوق الرستمي فيما يخص نظام الحلقات بالمساجد وذلك لدواعٍ سياسية مذهبية في حين حضور الزوايا والمعاهد كان رائجا عند الحماديين دون الرستميين[4]، أمّا المكتبات فقد كانت متوفرة لكلا الطرفين المعصومة ومكتبات نفوسة بالنسبة للدولة الرستمية والمكتبات العامة والخاصة بالنسبة للدولة الحمادية[5].

عموماً التقارب الرستمي الحمادي في نظام التعليم ومؤسساته كان قوياً مع بعض الاختلاف الطفيف بينهما لدواعٍ جغرافية أو زمنية أو سياسية أو مذهبية، وقد أسهم كل من الرستميين والحماديين في تطوير مناهج التعليم في المغرب الأوسط حتى أصبحت مدنها من حواضر المغرب الإسلام

---

[1] ابن خلدون: المصدر السابق، ص536

[2] إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص.332

[3] عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص253

[4] محمد الشريف سيدي موسى: المرجع السابق، ص

[5] ابن الذيب عيسى وآخرون: المرجع السابق، ص 140

المطلب الثاني: اهتمام السلطة بالتعليم والعلماء.

اهتمام السلطة بالتعليم:

حث الرستميون العامة على طلب المعرفة ولنا في ذلك عدة أمثلة، فحملة العلم الذين أصبح أحدهم بعد ذلك إماماً كان لهم دور البناء والتشييد، فقد كان لهم السّبقُ والرّيادة في إنشاء النّواة الأولى لمجتمع المغرب الأوسط المتعلم، وذلك لما عُرف عنهم من علمٍ وافر[1]. أسّس الإمام عبد الوهاب اللَّبِنة الأولى لمكتبة دار الإمامة وذلك من خل جلبه للكتب من المشرق، والتي حملت العديد من التآليف المختلفة والعلوم المتنوعة تنوع الوسط الاجتماعي والثقافي للدولة الرستمة[2]، وعلى نهجهم واصل الإمام أفلح والإمام أبو اليقظان. صور اهتمام السلطة بالتعليم كثيرة ومتعددة مما لا يسعنا المجال لذكرها، على غرار الرستميين توجد الكثير من الوقائع التي تؤرخ لاهتمام الأمراء الحماديين بالتعليم حيث أسسوا المساجد والمعاهد والزوايا مثل المسجد الأعظم بقصر المنار[3] وقد كان الناصر بن علناس من أكثر الحكّام رعاية للعلم وحبّاً له[4]، وكانت المكافئات تُمنح للنجباء من الطلبة إجازة لهم على مجهوداتهم[5]. اهتم الحماديون بالبدو القاطنين في مناطق شتى من إمارتهم فكان لهم نظام تعليم يسمّى الشريعة وغايته تعليم الصبيان على غرار المسيد بالمناطق العمرانية[6] بلغ إقبال العامة على طلب العلم في العهد الحمادي مبلغا كبيرا حتى أنه كان يجتمع على المدرس الواحد قرابة مائة طالب[7]. مجمل القول اهتم كل من الرستميين والحماديين بالجانب التعليمي، فكان لذلك الأثر الإيجابي على تطور التعليم

[1] أبو زكرياء: سير، ص55.
[2] أبو زكرياء: سير، ص99.
[3] رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص210.
[4] عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص250.
[5] عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ص377.
[6] عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص
[7] محمد الطمار: المرجع السابق، ص143

ومؤسساته ومناهجه في المغرب الأوسط، فكانت مدن الدولتين من أبرز الحواضر الثقافية في المغرب الإسلامي.

اهتمام السلطة بالعلماء:

رأيت أن أقسم علاقة السلطة بالعلماء إلى مباشرة وأخرى غير مباشرة:

أما المباشرة فأقصد بها الالتقاء المباشر بين السلطة والعلماء ومثال ذلك عند الرستميون فيما حدث بين أبي عبيدة الأعرج وأبي اليقظان[1] الذي قضى حاجة العالم دون تأخير أو تعطبل بل زادهم فوق ذلك إكراما واحتراما، كذلك ما كان من أمر علماء نفوسة الذين قدموا للمناظرة ضد الواصلية[2].

مشاهد العلاقة المباشرة للأئمة مع العلماء كثيرة ومتعددة على غرار الرستميين توجد العديد من الأحداث التي تؤرخ للتواصل المباشر والمميز بين الأمراء الحماديين والعلماء مثل ما كان من أمر أبا الفضل بن النحوي الذي عمّر طويلا بالقلعة محترماً من لدن أمراء بني حمّاد إلى أن توفي سنة 513هـ [3]، إضافة إلى مؤرخ الدولة حماد بن ابراهيم المخزومي الذي ألّف كتاباً في التاريخ والأيام الذي أهداه إلى الناصر بن علناس[4]، دون نسيان ابن أبي المليح طبيب البلاط الحمادي[5].

أما العلاقة غير المباشرة فأقصد بها أحوال العلماء والمشايخ في ظل الدولة الرستمية أو الحمادية دون التواصل المباشر، ومثل ذلك عند الرستميين يظهر من خلال مؤرخ الدولة ابن الصغير الذي لم يكن له التقاء الأئمة لغرض شخصي، وإنّما التقاؤه كان مع العلماء غالباً، كذلك الشاعر بكر بن حماد الذي لا أعرف له علاقة مباشرة مع الأئمة ولعل ذلك يرجع إلى عيشه خارج تيهرت مسافرا، أما

[1] ابن الصغير: المصدر السابق، ص79.

[2] أبو زكرياء: سير، ص102.

[3] محمد الطمار: المرجع السابق، ص142.

[4] عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص269.

[5] عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ص378.

علماء الدولة الحمادية الذين عاشوا فيها دون مكانة خاصة عند الأمراء هم كثر منهم مروان بن علي الأزدي المعروف بالبوني رغم استقراره ببجاية، وموسى بن الحجاج بن أبي بكر الأشيري[1]، بالإضافة للعديد من العلماء والعارفين سواءا الأجانب أو المسلمين، ويرجع ربما عدم التواصل المباشر مع سلطة البلاط إلى شخصية العالم أو الظرف السياسي الذي لا يقتضي ذلك.

[1] عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص259.

المبحث الثاني: أوجه الاختلاف بين الدولتين في المجال التعليمي.

المطلب الأول: الأوضاع والتوجهات السياسية وأثرها في في البيئة التعليمية.

أولاً: بالنسبة للعهد الرستمي: قبل أن أخوض في الأوضاع السياسية وآثارها على التعليم رأيت أن أقسم عوامل التأثير إلى قسمين: إيجابي وسلبي ثم شرحها على حسب ما أراه أقرب للصواب:

العوامل الإيجابية:

أ–العامل الزمني وآثاره: قامت الدولة الرستمية وعمرت خلال القرنبن الثاني والثالث الهجريين وهما قرنان مهمان في مسيرة الحضارة الإسلامية، حيث تمثل هذه الفترة مرحلة التأمل والتفتيش بالنسبة للعرب والعجم في شرائع الإسلام وبذلك ظهرت العديد من المذاهب والفرق، فنشطت بذلك الحياة الثقافية والتعليمية عند الرسيميين بالمغرب الأوسط فظهرت المساجد والكتاتيب والمكتبات عند الرستميين على غرار جميع دول المغرب الإسلامي.

ب–سياسة الأئمة الإيجابية نحو التعليم والحياة الثقافية: يعتبر أول إمام رستمي عالم وهو عبد الرحمان بن رستم، أحد حملة العلم إلى المغرب، هذا الرجل الذي مهد لنجاح الدولة في كافة المجالات، حيث أحسن تأطير اللحظة الزمنية، وعلى منواله جلب الإمام عبد الوهاب حمولة أربعين جملاً من الكتب والتآليف، فقد فضّل بهذه الحركة الجانب الثقافي التعليمي على السياسي والعسكري، رغم أنّ الدولة تمر بمرحلة حساسة وهي مرحلة النمو حسب السلم الخلدوني، إضافة إلى الإمام أفلح وأبي اليقظان وغيرهم من الأئمة.

ج–التواصل مع المشرق وآثاره في التعليم: أصل المذهب الإباضي من المشرق الإسلامي كغيره من المذاهب، لذا فإن قيام أي دولة تنتهج هذا المذهب، يكون لازماً على إباضية المشرق دعمها وهذا ما رأيناه في المساعدات المادية القادمة من البصرة وحل المشاكل السياسية

التي قامت بين الوَهبية والنكارية هذه تمثل بعض صور الدعم السياسي، أما في الجانب التعليمي فقد نقل الرستميون نظام الحلقات التعليمية من البصرة بالإضافة إلى استفادتهم من الكتب القادمة من المشرق واعتمادهم على مسند الربيع في علم الحديث وغيرها من مشاهد التواصل و التائثير.

د–سياسة الانفتاح: تقبَّل الرستميون معظم الوافدين على تيهرت أياً كانت توجهاتهم وأعراقهم، فحمل هؤلاء رسائل تعبر عنهم مثل الواصلية والمالكية والكوفيين والقرويين وغيرهم، فكانت مشاهد التبادل الثقافي حاضرة مثل ما ذكره ابن الصغير[1] عن تقبل الإباضية للغير والعكس صحيح، كذلك ما كان من أمره عندما سمع كتاب "إصلاح الغلط" لابن قتيبة من طرف العالم أبي عبيدة الإباضي[2]، ومن خلال ذلك كان أثر الانفتاح إيجابياً على التعليم في الدولة الرستمية .

العوامل السلبية: وحصرتها في ثلاث نقاط:

أ–جغرافية الدولة وتمدنها الحديث: كان الإباضيون أول من سكن تيهرت وعمرها، فلو أن الإباضية سكنوا مدناً لها حضور قديم لكان لهم أن يستفيدوا من إرثها الحضاري في عدة مجالات ومثال ذلك أراه في استفادة الأمويين من دمشق وبعدهم العباسيون، الذين استفادوا من الإرث الفارسي، فنتج عن ذلك اختزال زمني ساعد في صنع الحضارة الأموية والعباسية، إلا أن تيهرت كانت حديثة عهد بالتمدن والعمران، والتعليم أحد صور المدنية فكان لهذا التأخر أثر سلبي على الحياة الثقافية.

ب–الفتن المتصلة وأثرها على التعليم: لطالما ارتبط النشاط الفكري والإبداع بالأمن والاستقرار، إلا أنّ الدولة الرستمية عرفت العديد من الفتن السياسية والصّراعات التي أثّرت على المسار الثقافي والتعليمي للدولة خاصة بعد قرنها الأول 161-261هـ.

---

[1] ابن الصغير: المصدر السابق، ص102.

[2] نفسه: ص84.

ج–سياسة اللين المتبعة من قِبل الأئمة: عُرف عن الأئمة الرستميين اللين والابتعاد عن التعنيف ضد معارضيهم في معظم الأحيان، وهذا ما رأيناه في تاريخ الدولة الرستمية، فنتج عن ذلك تجاوزات ألمت بالوضع الأمني، وفي الواصلية ومناظراتهم للإمام عبد الوهاب مثال عن ذلك.

ثانياً: بالنسبة للدولة الحمادية: غُلب على الوضع السياسي في عهد بني حماد الفوضى واللا أمن، إلا في بعض الفترات التي عرفت مرحلة صلح مع القِوى الخارجية، كان لهذا الوضع السياسي التباين أثر عل الحياة العلمية والتعليمية في الدولة الحمادية.

وقد جعلت أهم عوامل التأثير السياسي في أربعة نقاط مرتبة زمانياً ثم شرحتها كلٌّ على حِدى:

أ–سقوط القيروان في يد بني هلال: أما سقوط القيروان[1] – وأقصد بمصطلح السقوط تراجع المدينة حضارياً– على يد بني هلال سنة 457هـ حيث تمّ نهبها "وخُرّبت البلاد وانتقل كثير من أهلها إلى بلاد بني حماد لكونها وعرة يمكن الامتناع بها من العرب، فعمرت بلادهم وكثرت أموالهم"[2]. هكذا وصف ابن الأثير واقع الحال السياسي ما بين المغرب الأدنى والأوسط، فرحيل هؤلاء حسب ما أرى وحملهم للإرث المادي والمعنوي إلى بجاية إضافة إجابية جداً ساهمت في دفع الحركة الثقافة والنشاط التعليمي، ويوجد إسقاط تاريخي أقصد به تقريب المعنى، وهو سقوط القسطنطينية سنة 1453م ورحيل علمائها وأهلها إلى روما وحمولتهم عدّة قرون من الحضارة ساهمت في دفع أوروبا حضارياً، فنتج عن ذلك النهضة الأوروبية

[1] ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والتويع، ط1، بيروت لبنان 1421هـ/2000م، ج6.ص.225

[2] عز الدّين بن أثير: الكامل في التاريخ: تح أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1407هـ/1987م، ج8، ص372.

ب–القدوم الهلالي إلى المغرب الأوسط: لما تمكن العرب من إفريقيّة وطردوا المعز عن القيروان[1] إلى لمهدية تقدموا ناحية الغرب قاصدين بني حماد، فكانت لهم وقائع عديدة فيما بينهم، منها ما وقع سنة 457هـ بينهم وبين الناصر بن علناس[2]، إلاّ أنه بمرور الزمان وتغير الأحوال تمكن هؤلاء الأعراب من الامتزاج مع البربر، فتمكّنت اللغة العربية الفصحة المصقلة بلسان العرب النازحين[3] من إعطاء الحياة الفكرية والتعليمة عامة طابعا عربياً بما أنها لغة التخاطب والفكر آنذاك.

ج–تأسيس بجاية وأثر تغيير الجغرافيا في بناء شبكة علاقات اجتماعية[4] وثقافية حديثة: لما شعر الناصر بخطورة القدوم الهلالي، أمر ببناء بجاية، بعد ما كان له مكان مع ابن البعبع ووزيره[5]، إلاّ أن تغيير عاصمة بني حماد من القلعة إلى بجاية نتج عنه تواصل وارتباط ثقافي مع العديد من الحواضر بفعل التغيير الجغرافي، فعرف الحماديون القدوم الأندلسي والأوروبي فنشطت الحياة الاقتصادية والثقافية والتعليمية.

د–سياسة الانفتاح المتّبعة منذ عهد الناصر بن علناس: كان لهذه السياسة أثر إيجابي على الحياة العلية والتعلّم، فقد عرفت الدولة حلول العديد من لطلاّب من مختلف الجنسيات والأقطار وحضور العديد من العلماء[6]، فاستفادت عاصمة بني حماد الثانية من هذا الامتزاج الثقافي، فكثُرت التآليف وازدهرت الحياة التعليمية.

المطلب الثاني: التوجهات المذهبية وأثرها في البيئة التعليمية.

---

[1] ابن خلدون: المصدر السابق، ص225.

[2] ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص373.

[3] عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص262.

[4] تمت صياغة هذا المصطلح من خلال الأستاذ طاهر بن علي في محاضراته، جامعة غرداية، الجزائر.

[5] ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص374-375.

[6] عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ص377.

بالنسبة للدولة الرستمية ارتبطت معظم الحياة الفكرية بالمذهب الإباضي[1]، ويظهر التأثير المباشر للمذهب على التعليم من خلال الحلقات العلمية، حيث كان قدومها للدولة الرستمية من خلال حملة العلم، فكانت رسالتهم تتمثل في نقل المذهب الإباضي إلى بلاد المغرب، نظراً لخصوبة الأرض وقابليتها للحرث وحديثة عهدٍ بالتمدن والحضارة، كذلك من صور التأثير المذهبي على الحياة التعليمية ما وقع بين الإباضية والواصلية من مناظرات ومبارزات أساسها علمي. كان الأثر التنافسي بين الأغالبة والرستميين واضحاً، فنشطت البيئة العلمية بفعل روح المنافسة، وهذا ما ذكره الشيخ علي دبوز فقال: "كانت بين الدولة الرستمية الجمهورية وبين الدولة العباسية الملكية وربيبتها الدولة الأغلبية تسابق كبير"[2].

بني التعليم في العهد الرستمي على المذهب الإباضي غالباً وبعض المذاهب الأخرى، وهذا ما نستنتجه من قول ابن الصغير[3] أن من قدم إلى حلق الإباضية يرحب به والعكس كذلك، ونفهم من اقتناء أبي عبد الله الشيعي لكتب الفلسفة والعلوم الأخرى ثم حرقه للكتب المتعلقة بالتعاليم الإباضية أن الدولة الرستمية كانت تتوفر على العدد الهائل من الكتب الإباضية التي تبنى عليها مناهج التعليم، ومن خلال قصة أبا عبيدة الأعرج مع ابن الصغير ندرك أنّ التعليم لا يقتصر على الكتب الإباضية وحدها.

عموماً فأثر المذهبية في توجيه وبناء نظم التعليم عند الرستمين واضح، وذلك يرجع إلى أساس قيام الدولة فهو مذهبي ديني وليس عرقي أو سياسي، بخلاف ما قامت عليه دول أخرى على غرار الدولتين الإدريسية والزيانية.

---

[1] عيسى الحريري: المرجع السابق، ص235.

[2] علي دبوز المرجع السابق،ج3 ، ص357.

[3] ابن الصغير: المصدر السابق، ص102.

بالنسبة للدولة الحمادية كان أثر المذهبية في صياغة منهجها التعليمي متأخراً بفعل غلبة الواقع السياسي على الدولة، التي تتلون مذهبيا حسب ما يمليه الظرف، فنراها سنية، ثم إسماعيلية شيعية، ثم مالكية سنية، فهي متقلبة باستمرار، وبالرغم من أن الناس على دين ملوكهم إلاّ أنّ العوام لم يسايروا هذه التقلبات، بحيث لم يكن للمذهب الإسماعيلي قاعدة شعبية في الدولة الحمادية عكس ما كان عليه المذهب الإباضي في الدولة الرستمية لذلك ترقّب العلماء المسار السياسي حتى استتب الوضع على المذهب السني المالكي القادم من مدرسة القيروان، ومن هنا كان موطأ مالك أولى الاهتمامات الفقهية بعد القرآن والسنة، فأثر ذلك في المنهج التعليمي للحماديين[1].

أصبح للدولة الحمادية دوراً أساسياً في نشر المذهب المالكي في المغرب الأوسط، وذلك من خلال استقطابها للعديد من العلماء والفقهاء والمحدثين، على غرار أبي سلمة البجائي[2] ومحمد بن علي المازري[3]، فكلهم كانوا على المذهب المالكي، فاستنار العوام وفقهوا دينهم، وأُنشئت المدارس والمعاهد والزوايا ونشطت الحركة العلمية بحيث أضفى الملذهب المالكي لوناً من الثبات الثقافي والفكري والعاطفي[4]، فساعد الاستقرار على تطوير العلوم والمعارف، كما أنه جمع السلطة والعامّة وسدّ الهوّة بينهما.

---

[1] عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص249.

[2] ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان وعلماء المذهب، تح مأمون بن محي الذين الجنان، دار الكتب العلمية، بيوت لبنان، ط1، 1417هـ/1996م، ص315.

[3] نفسه: ص374.

[4] عويس المرجع السابق، ص257.

خـــاتمة:

وفي الاخير توصلت الى عدة نتائج جعلتها في سطور فكانت كما يلي:

عرف الرستميون التعليم فاتبعوا الطريقة الرائجة في العالم الإسلامي آنذاك من كتاتيب ثم حلقات علم بالمساجد بالإضافة إلى الانتفاع من المكتبة لخدمة الطالب، وقد اهتم الأئمة بالعلم والتعليم فكانت لهم عدة مشاهد تظهر مدى المامهم بالعلوم والعلماء في حين تنوعت العلوم المتداولة في العهد الرستمي بين العلوم النقلية والعقلية فكان علم الفقهُ وأصولهُ، ثم التفسير ثم الحديث كدرجة أقل، من أبرز العلوم النقلية حضورا. أما العلوم العقلية فمتعددة ومتنوعة فقد عرف هؤلاء الحساب وعلم اللغة وعلوم الفلك وبرعوا فيها.

عموما كانت الحياة التعليمية في العهد الرستمي ايجابية جدا، مقارنة بظروف الدولة الزمانية والمكانية فتركوا لنا باعاً جيدا في هذا المجال.

أما العهد الحمادي فاتسم بحياة علمية رفيعة فقد عرف نظام التدريس المتداول على غرار الرستميين من كتاتيب وحلقات علمية بالمساجد بالإضافة للزوايا والمعاهد التي لم أذكرها.

عُرف عن الأمراء الحماديين الاهتمام بالعلم والتعليم، فقد كانت القلعة ومن بعدها بجاية حواضر مهمة في بلاد المغرب الإسلامي، حيث وفد إليها العديد من العلماء قصد التعلم والتدريس والاستزادة. تنوعت العلوم المتداولة في العهد الحمادي بين العلوم النقلية والعقلية، فكان علم الحديث والتفسير والفقه حاضرا بقوة، لكن بتفاوت، بالإضافة إلى العلوم العقلية من حساب وجبر وهندسة وطب وصيدلة وغيرها

من العلوم الدنيوية، وكلها علوم وجدت فوجد معها تعليمها فيما ظهر لي وإن لم تشر المصادر إلى ذلك بوضوح مثل ما كان في العهدالرستمي. يبقى أن أنوه إلى خصوبة الحياة التعليمية في العهد الحمادي حتى غدا التعليم إحدى أولويات الدولة.

أسهم عرب الفتح في تكوين الشخصية المغاربية من خلال الإسلام، ومن سمات المغاربة بعد مجيء الإسلام حمل رسالة حضارية ومشروع ثقافي مثل وحدة حضارية مع المشرق الإسلامي. ولم يكن لهم ذلك قبل الإسلام فكان التعليم و البيئة التعليمية جزءا من الإرث الحضاري المغاربي المتواصل من الرستميين بالنسبة لجغرافية المغرب الأوسط إلى الزيانيين مرورا الحماديين، فقد عرف المغرب الأوسط أزهى فتراته الثقافية في العصر الوسيط، فتأثر كغيره بمناهج ونُظُم التدريس حتى أصبحت مدنه من أهم الحواضر الإسلامية في المغرب.

وفي الأخير رأيت أن أشير إلى بعض التساؤلات التي يمكن أن تكون بحوثا في المستقبل:

لماذا لم يكن للحماديين مصدراً خاصاً بهم على غرار الرستميين أم أنهُ فُقِد؟

لماذا لم يكن للرستميين باعٌ كبير في مجال العمران والهندسة؟ وهم بيوت علم و معرفة؟.أم أن عمرانهم اندثر؟

إلى أي مدى أثرت العلاقات الخارجية للدولة الزيرية الصنهاجية مع المشرق في تغيير الخريطة السياسية والمذهبية للمغرب الأوسط؟؟

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر.

1 ابن الأثير عز الدين: الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، لطبعة1، 1407هـ/1987م، الجزء 8 .

2 البغدادي أبي المنصور عبد القهار بن الطاهر بن محمد التميمي، الملل والنحل، تحقيق، ألبير نصري نادر، دار المشرق، بيروت لبنان، 1986م.

3 التنبكتي أحمد بابا: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف عبد الحميد عبد الله الهرارمة، الجزء الأول والثاني، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، الطبعة الأولى، 1989م.

4 الحموي أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، الجزء الثاني، دار صادر، بيروت.

5 ابن حوقل أبي قاسم النّصيبي: صورة الأرض، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيرت لبنان، 1992م.

6 ابن خلدون عبد الرحمان: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والتوزيع، الطبعة الأولى، لبنان، الجز السادس، 1421هـ/2000م.

7ابن خلدون عبد الرحمان، مقدمة، تحقيق درويش جويدي، المكتبة العصرية، بيروت، طبعة جديدة، 2002م.

8ابن خليكان أبو العباس أحمد: وفيات الأعيان وأبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس وآخرون، دار صادر، بيروت لبنان.

9الدباغ أبو زيد عبد الرحمان، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق إبراهيم شبوح، الجزء الثاني، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة مصر، الطبعة الثانية 1388هـ/1968م.

10الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد: طبقات المشايخ بالمغرب، الجزء الثاني، تحقيق إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة الجزائر.

11الشهرستاني محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد: الملل والنحل/، www.Al-mostafa.com.

12أبو زكرياء يحي بن أبي بكر: سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق إسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، الطبعة الثانية 1402هـ/1982م.

13ابن الزيات يوسف بن يحي، التشوق إلى رجال التصوف ،تح أحمد التوفيق منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط،1984.

14الغبريني أحمد بن أحمد بن عبد الله: عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، 644-714هـ، تحقيق عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت لبنان، الطبعة الثانية، 1979م.

15ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق د.محمد ناصر، أ. إبراهيم بحاز، الجزائر 1985م.

16القابسي أبو حسن علي: الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، تحقيق أحمد خالد، الشركة التونسية للتوزيع، الطبعة الأولى، 1986م.

17القاضي عياض أبي الفضل بن موسى اليحصبي: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرة أعلام المذهب مالك، تصحيح محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1418هـ/1998م. الجزء الأول.

18القيرواني محمد بن أبي القاسم المعروف بابن أبي الدينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس،المطبعة التونسية، الطبعة الأولى 1286هـ.

19ابن مريم: البستان في ذكر الالياء والعلماء بتلمسان ،راجعه وحققه الشيخ ابن ابي الشنب ،المطبعة الثعالبية ،1362 1908

20المراكشي بن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج س كولان وليفيبروفيستال، دار الثقافة، بيروت لبنان، 1400هـ/1980م. الجزء الأول،

21اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب: معجم البلدان، مطبع بريل، ليدن، 1860م.

ثانيا: المراجع

1 الباروني سليمان بن عبد الله باشا: الأزهار الرياضية في أئمة ولوك الإباضية، تحقيق أحمد كروم عمر الزين، مصطفى بن دريمو، تقديم إبراهيم بحاز وأحمد بن مسعود السيابي، الطبعة الثالثة، 1423هـ/2002م. دار البعث، قسنطينة الجزائر.بحاز ابراهيم:الدولة الرستمية،دراسة اقتصادية فكرية

2 الجيلالي عبد الرحمان: تاريخ الجزائر العام، دار الأمة، الطبعة الثانية 2010، الجزائر.

3 الحريري محمد عيسى: الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس 160-269هـ، الطبعة الثالثة، دار الفكر للنشر والتوزيع، الكويت 1987م.

4 حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي، الديني، الثقافي، الاجتماعي، الطبعة الخامسة، دار جيل، بيروت 2001م، الجزء الرابع.

5 دبوز محمد علي: تاريخ المغرب الكبير، الجزء الثالث، مؤسسة تاوالت الثقافية 2010م.

6الدفاع علي: روائع الحضارة العربية الإسلامية في العلوم، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت 1998م.

7برويبة رشيد: الجزائر في التاريخ 3 ، العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

8سيدي موسى محمد الشريف: مدينة بجاية الناصرية، دراسة في الحياة الاجتماعية والفكرية، دار كرام الله، الجزائر 2011.

9الطمار محمد: الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1983م.

10عبد الرزاق أحمد: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي، القاهرة 1997.

11يحي بو عزيز: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1995، الجزء الأول.

12عويس عبد الحليم: دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، الطبعة الثانية 1991، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة مصر.

13ا لكعك عثمان: موجز التاريخ الجزائري من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى 2003، بيروت.

14لقبال موسى: المغرب الإسلامي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1981م.

15محمود إسماعيل عبد الرزاق: الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب، الطبعة الثانية406هـ.

16 معمر يحي: الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتّب المقالات في القديم والحديث، المطبعة العربية غرداية الجزائر.

17مؤنس حسين: معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة، مهرجان القرّاء للجميع، دار الرشاد 2004.

18الميلي مبارك بن محمد: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تحقيق محمد الميلي، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للكتاب، بدون تاريخ.

19عمر خليفة النامي: دراسات عن الإباضية، نشر ميخائيل خوري، مراجعة ماهر جرار، ترجمة محمد صالح الناصر مصطفى صالح باحو، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى 2001.

ثالثا: المجلات والدوريات:

1 عبد القادر بوباية: طرق التدريس في المغرب الإسلامي فاس وبجاية نموذجاً، مجلة العصور الجديدة، العدد الأول، مختبرالبحث التاريخي، وهران الجزائر.2011.

2تالية سعدو: الحركة الفكرية بالدولة الرستمية وإسهام المرأة الإباضية فيها، مجلة العصور الجديدة، العدد الأول، مختبر البحث التاريخي، وهران 2011.

3 سالفادور قومث نوغاليس: الرستميون، قنطرة صلة بين الجزائر والأندلس من خلال الإباضية، محاضرات الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي، مجلة الأصالة، العدد 49-50، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر.

4خالد بن العربي: البنية العمرانية لمدينة قلعة بني حماد، مجلة كان التاريخية، العدد الخامس سبتمبر 2009.

5 المهدي البوعبدلي: لمحات من دور الدولة الرستمية في ميدان الحضارة والفكر لبعض الباحثين القدامى والمتأخرين، مجلة الأصالة، العدد الرابع، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف تلمسان الجزائر 2011.

6إحسان عباس: المجتمع التيهرتي في عهد الرستميين، مجلة الأصالة، العدد 45، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف تلمسان الجزائر 2011.

7 اليبدري بلخير: العلاقات السياسية بين الدولة الرستمية ودول المغرب الإسلامي خلال القرن الثالث هجري والتاسع ميلادي، مجلة المقتطف المصري، العدد الخامس، يونيو 2010.

8حسين مؤنس: المساجد، عالم المعرفة، العدد 37 يناير 1981، المجلس الوطني للثقافة والفنون ، الكويت.

9 سليمان بن داود يوسف: مجهودات الدولة الرستمية في نشر الحضارة الإسلامية وتركيزها، مجلة الأصالة ، العدد 49-50، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف.

فهرس الموضوعات

المحتوى الصفحة

مقدمة ..... أ-ج

تمهيد 09

الفصل الأول: التعليم في العهد الرستمي 13

المبحث الأول: المؤسسات التعليمية عند الرستميين 14

المطلب الأول: الحلقات العلمية في المساجد 14

المطلب الثاني: الكتاتيب 18

المطلب الثالث: المكتبات 19

المبحث الثاني: اهتمام السلطة بالتعليم والعلماء 23

المطلب الأول: مساهمة السلطة في التعليم 23

المطلب الثاني: علاقة العلماء بالسلطة الحاكمة 25

المطلب الثالث: أشهر علماء العهد الرستمي 27

المبحث الثالث: أهم العلوم المتداولة في العهد الرستمي 31

المطلب الأول: العلوم النقلية 31

أ-الفقه 31

ب-التفسير 32

ج-علم الحديث 33
المطلب الثاني: العلوم العقلية 34
أ-علم الكلام والفلسفة 34
ب-اللغة العربية وآدابها 36
ج-الحساب وعلم الفلك 37
د-الطب 38
الفصل الثاني: التعليم في العهد الحمادي 39
المبحث الأول: المؤسسات التعليمية عند الحماديين 41
المطلب الأول: الحلقات العلمية بالمساجد 41
المطلب الثاني: الكتاتيب 42
المطلب الثالث: المكتبات 44
المبحث الثاني: اهتمام السلطة بالتعليم والعلماء 46
المطلب الأول: اهتمام السلطة بالتعليم 46
المطلب الثاني: علاقة العلماء بالسلطة الحاكمة 47
المطلب الثالث: أشهر علماء العهد الحمادي 48
المبحث الثالث: أهم العلوم المتداولة 52
المطلب الأول: العلوم النقلية 52

أ-الفقه 52
ب-علم الحديث 53
ج-التفسير وعلم القراءات 54
المطلب الثاني: العلوم العقلية 55
أ-الطب والصيدلة 55
ب-الحساب وعلم الفرائض 56
ج-علم الهندسة والعمران 57
الفصل الثالث: أوجه التشابه والاختلاف بين الدولتين في مجال التعليم 60
المبحث الأول: أوجه التشابه بين الدولتين في مجال التعليم 61
المطلب الأول: المؤسسات التعليمية ونظم التدريس 61
المطلب الثاني: اهتمام السلطة بالتعليم والعلماء 62
المبحث الثاني: أوجه الاختلاف بين الدولتين في مجال التعليم 65
المطلب الأول: الأوضاع والتوجهات السياسية وآثارها في البيئة التعليمة 65
المطلب الثاني: التوجهات المذهبية وأثرها في البيئة التعليمية 69
خاتمة 71
قائمة المصادر والمراجع
الفهرس